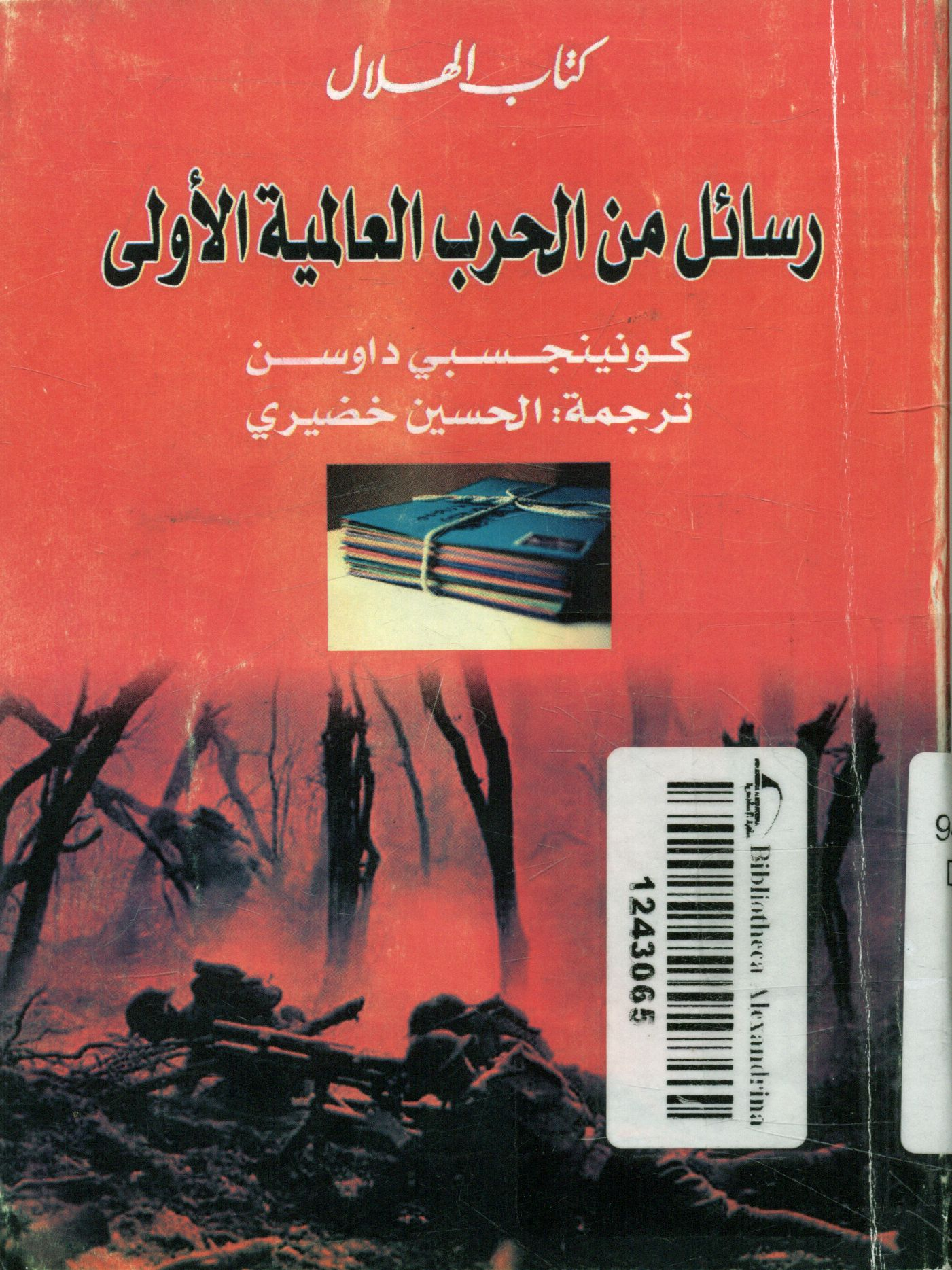
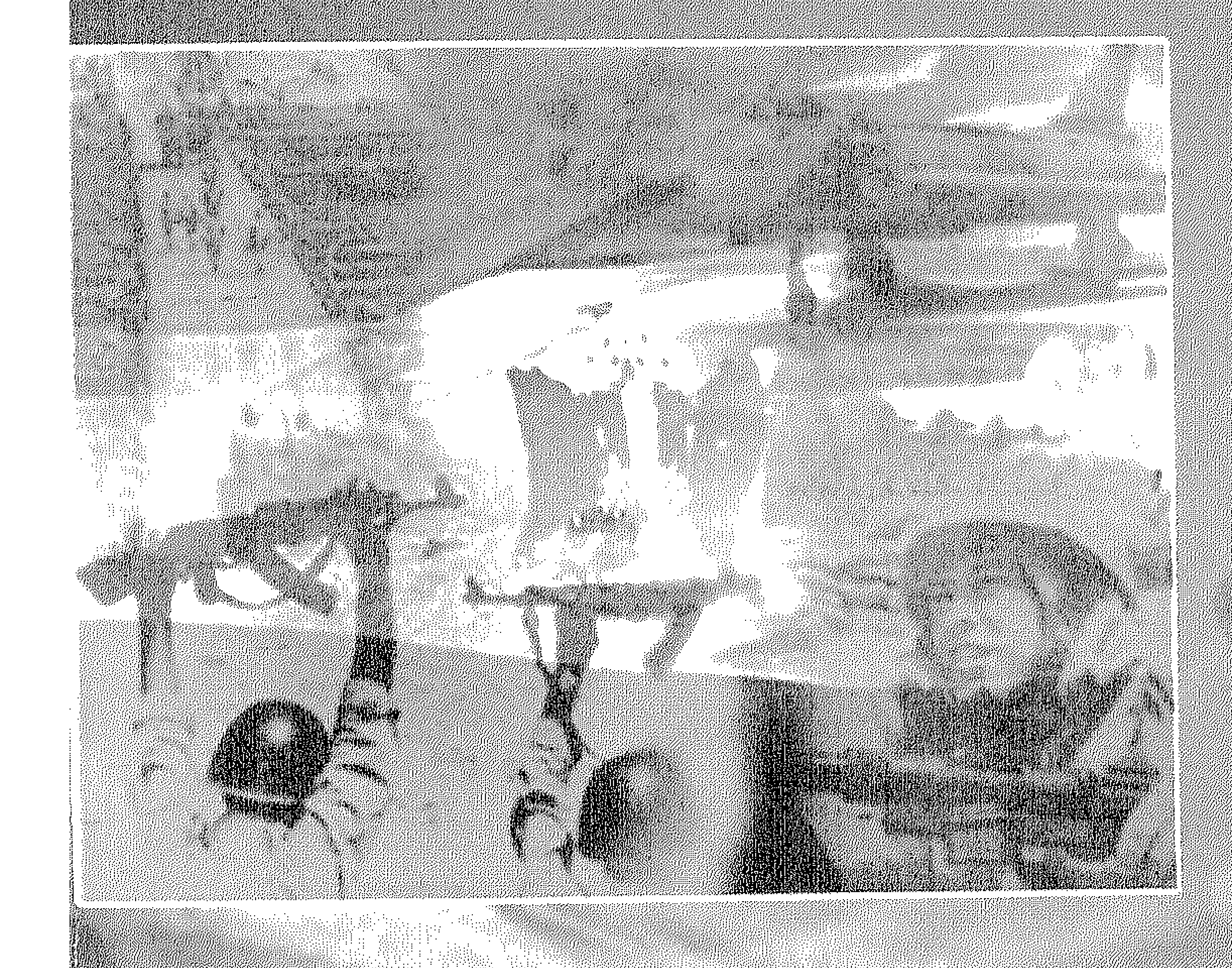

كتاب الهلال
رسائل من الحرب العالمية الأولى
كونينجسبي داوسن
ترجمة: الحسين خضيري

روايات الهلال

محمود عوض عبد العال

ضابط احتياط



سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالي محمد

رئيس التحرير
سعد القرش





الإدارة

القاهرة: ١٦ شارع محمد
عز العرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٢٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة.
القاهرة. الرقم البريدي ١١٥١١
. تلغرافيا: المصور. القاهرة
ج.م.ع.
تلكس:
hilal u n ٩٢٧٠٣ Telex
فاكس: FAX: ٣٦٢٥٤٦٩

مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير
صلاح زبادي

مستشار التحرير
محمد رضوان

تصميم الغلاف: محمود الشيخ

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة -
لبنان ٨٠٠٠ ليرة -
السعودية ١٢ ريالا-
البحرين ١,٢ دينار-
قطر ١٢ ريالا -
الإمارات ١٢ درهما -
اليمن ٤٠٠ ريال -
فلسطين ٢ دولار

الاشتراكات

قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠ جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفريقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الاصدار الأول / يونيو ١٩٥١
البريد الإلكتروني: helalmag@yahoo.com

طبع هذا العدد بأحبار باكين

باكين

رسائل من الحرب العالمية الأولى

تـــــأليف

كونينجسبى داوسن

مع مقدمة وملاحظات والده

وليام جيمس داوسن

ترجمة

الحسين خضيري

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب:
CARRY ON
LETTERS IN WAR-TIME
BY ,

CONINGSBY DAWSON

NOVELIST ANd'sOLDIER

WITH AN INTRODUCTION AND NOTES
1917

W. J. DAWSON ،BY HIS FATHER

FRONTISPIECE

NEW YORK: JOHN LANE COMPANY

THE BODLEY HEAD ،LONDON: JOHN LANE

TORONTO: S. B. GUNDY V '.? MCMXVIII

إهداء المترجم

إلى الذين ما تزال رسائلهم على شرفة فى القلب بدراً، يلوح ولا يلوح، نحط على شواطئها البعيدة، حين رؤانا تضيق، لعل متسعاً هناك، أو عطر محبتهم، لأرواحنا يفوح.

الحسين خضيرى

حين تنتهي الحرب

حين تنتهى الحرب
ونكون أنفسنا
أنا وأنت
ونجمع حياتنا لنصلحها
نحن، الذين تعلمنا
كيف نحيا
وكيف نموت!
هلا تذكرنا طموحنا للثراء
والحكمة
حين رأينا الموت بأعيننا
مثلما نهض لازاروس
هلا حلمنا بمتعة حياتنا الماضية
لأجل رغبات قلوبنا
أرواح من تلك التى أخذتها الحرب

فذابت مع الموت المنصهر
مع النار؟
لسوف نحفر ضحكاتنا على الرياح
كما أظن
عبر الشجيرات الذهبية
مع الشمس
حين ينتهي كفاحنا جميعاً
حين تنتهي مجزرة الحرب
هذه الأشياء فحسب
يبدو أنها تستحق
أن نجعل الحياة عذبة
على نحوٍ رائع
أن نعيش مع أغنيةٍ
وابتسامة
أن نبسط حياتنا
عند أقدام الحب

إريك . ب . داوسن
ERIC P. DAWSON

مقدمة

لم تُكتب هذه الخطابات للنشر، إنها خطابات حميمة وخاصة إلى أبلغ مراتب الخصوصية.

لم تكن هذه الخطابات لتنشر من قِبل هؤلاء الذين أُرسلت إليهم، لولا شعورهم أن روح الكاتب وطباعه من الممكن أن تسهم فى تقوية وتنشيط من هم مثله يُدعَون إلى تقديم تضحياتٍ عظيمة لأجل دوافع ساميةٍ وواجبات رسمية.

إنها لا تبوح بأية معلومات عن عمليات جيش الحلفاء Allies، إنها مهمة الدعاية.

وإن ذلك لمحظور على الجندى فى كل العصور.

لقد سُمح لبعض الحقائق المهمة أن تعبر الرقيب، لكنما قيمة هذه الخطابات ليست فى هذه الأشياء، إنها فى كيفية تأثير هذه الحقائق البطولية المروعة على العقل الحسّاس غير العادى،الذى تمرس طويلًا على الأخلاق والمثالية الرومانسية وتلك العمليات التى بها يكيف العقل نفسه مع الظروف غير المتوقعة والتى لا تُصدق والأفعال والواجبات المرعبة، والتى

لا تكون رهيبة بفضل فعالية الجهد الروحى الذى يستحضرونه.

إنهم يدركون بوضوح المدى الوسيع لقسوة الحرب، كراهيةً منهم لوحشيتها.

ومع ذلك، فإن قلب الكاتب لم يقس رغم تعامله اليومى مع الموت، لقد طهرته الشفقة والأهوال، والبطولة والتضحية، من أجل أسبابٍ أسمى وواجبات جليلة .

إنهم لا يقرّون بإعطاء معلوماتٍ جديدة عن عمليات جيش الحلفاء، هذه هى مهمة الصحفى، ومحظورة على الجندى فى كل الأوقات فى ميدان المعركة.

ثمة قذائف ها هنا وهناك، أو حقائق خطرة سُمح بتمريرها من الرقيب؛ لكن قيمة الخطاب لا تكمن فى هذا.

إنها تكمن بالأحرى فى كيفية تأثير الحقائق الحربية المرعبة- والبطولية فى آن- على العقل غير العادى المرهف، الذى خبر الأخلاق كثيراً والمثاليات الرومانسية، العملية التى بها يكيف هذا العقل نفسه لظروف غير متوقعة ولا تُصدق، لأفعالٍ وواجباتٍ ترقد إلى جوار الرعب، ويتم إنقاذها من كونها مروعة بواسطة فعالية المجهود الروحى الذى يتم استحضاره.

كراهية وحشية الحرب، بسبب الأشياء السيئة العديدة التى تجلبها، ومع ذلك فإن قلب الكاتب لم يقس إثر علاقاته اليومية بالموت؛ لقد هذبته الشفقة والرعب، والبطولة والتضحية، حتى بدت الطبيعة الكاملة عذبةً صلبةً فى أدق مقدرة.

إن الطبيعة الحميمة لهذه الخطابات تجعل من الضرورى قول شىء ما عن الكاتب.

تخرج كونينجسبى داوسن فى جامعة أكسفورد بمرتبة الشرف وقد تخصص فى التاريخ عام ١٩٠٥م.

وفى العام نفسه قدم إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لدراسة اللاهوت فى يونيون سمنارى .Union Seminary

بعد عامٍ من الدراسة فى سيمنارى أدرك أن حياته العملية الحقة تكمن فى الأدب.

وبدأ فى الحال يعد نفسه لمهنته.

فى غضون ذلك، غادرت أسرته إنجلترا، واتخذنا منزلنا فى تونتون Taunton ماساتشوستس .Massachusetts

هنا، فى منزلٍ هادئ، بين المروج والشجيرات المورقة، وهب نفسه بحماسة لا تكل لفن الكتابة.

كان يكتب يوميًا من سبع ساعات إلى عشر فكتب العديد من القصائد والقصص القصيرة وثلاث رواياتٍ.

القليلون من الكتّاب عملوا بجدٍ لتحقيق الامتياز الأدبى، أو تدربوا بإخلاص صارم لفنهم.

لكم تساءلت كيف أن رجلًا شابًا يافعًا ذا حياةٍ عمليةٍ بهية فى أعظم الجامعات الإنجليزية، قنع بحياةٍ منفصلةٍ عن الناس وشئون الحياة على نحوٍ وسيع.

ومازلت أتعجب من صبره الذى تحمّل الرفض الذى دائمًا ما ينتظر المبتدئ فى الأدب، والتواضع الذى أراد معه تعلم الدروس الصعبة فى فترة تدريبه المهنى فى قالب أدبى، وإيمانه بأن العمل الجيد سينجح فى النهاية فى تحقيق ذاته.

هذا العمل الشاق الغامض جعل روحه متواضعة، وبالتالى فإن بعض المرجعيات فى خطاباته تشير إلى شعوره بالأسى لنفسه.

لقد انتهت مرحلة الانتظار فى نهاية الأمر بنشر "حديقة دونما أسوار" عام ١٩١٣م والتى حققت نجاحًا.

حين يتحدث فى خطاباته عن اندفاعه المفاجئ للشهرة، يشير إلى تلك الشهور المفعمة فى خريف ١٩١٣م، حين

ناقشت روايته كل الأقلام ولأول مرةٍ التقى العديد من الكتَّاب ذوى السمعة الطيبة، وأضحى على قدم المساواة منهم.

تبعت روايته "حديقة بلا أسوار" رواية "الطوف".

بدت طبيعة حياته الآن ثابتةً.

لقد امتلك مزاجًا بالغ الرومانسية والمثالية التى تتطلبها كتابة الرواية وكذلك خيالًا نشطًا زاهيًا وأدواتٍ أدبيةً كاملة.

أوقف كونينجسبى حياته على هدفٍ سامٍ، كما خطط لها، دون دفء وتماسك هذا الهدف، وقد كان لهدفه هذا أثره على أدبه.

إن سنواته الطوال الصارمة التى قضاها فى الإعداد جعلت منه غير مبالٍ نسبيًا بمنح الحياة، رغم أن ذلك لم يقلل من بهجته القوية فى الحياة.

لقد كان فنه هو همه الرئيس.

كانت مغامراته مغامرات عقلية للبحث عن وسائط تعبيرية أكثر اتساعًا.

أما حروبه الصليبية ، فقد ظلت حروبًا صليبيةً روحيةً للبحث عن حقائق حقة.

ونال تقدير العامة مما منحه الإيمان بنفسه والإيمان

بمقدرته على تحقيق سمعة طيبة كفنان حقيقى، لم يقلل أحدٌ من قيمة عمله بل نال التقدير ونجح نجاحًا واسعًا.

لذا فقد قرأ المستقبل، وتنبأ له نُقاده به.

وحينئذٍ، وفجـــأةً وعلى نحـــوٍ غير مُعـــلن تحطـمت هذه الحيـــاة الفكـرية الهـادئة؛ حيث هـبّت عاصفة عام ١٩١٤م القوية، حيث بعثر زئير المدافع- التى انطلقت بطول المارن (١) - the marne - كل أهدافه وتركه وجهًا لوجه مع ضرورة روحية وقورة لم تسمح له بالمراوغة.

فى بداية الأمر، لم يدرك إدراكًا تامًا- مع حشودٍ أكثر خبرة منه- المقدار الحقيقى للطوفان الذى غمر العالم.

كانت هناك حروبٌ من قبل، وقد قاتلوا جيوشًا ذات مرونة وتقاتلوا فى ظروف قاسية، كان الأمر مستعصيًا على التصديق؛ حيث إن أية حرب تدوم أكثر من عدة أشهر.

مرارًا وتكرارًا أثبت العالم أن الحرب تُدمره بوطأتها، حيث ما من حربٍ يتم تمويلها على المدى الطويل، طبيعة الصراع الحديث هذه، بآلات هدمه الرهيبة، صنعت قراراتٍ سريعةً مُلحةً.

إن فكرة الحرب البريطانية التى ورطت الإنسانية أجمع، فكرةً جديدة وليست ذات نظيرٍ فى التاريخ.

وقد اتسعت فكرة هذه الحرب فى كثير من القضايا، إلى أن هددت كيان الأمة الجديد أيضاً.

أحيانًا ما تنبأ المتشائمون بمثل هذه الأشياء، لكن أحداً لم يؤمن بهم.

استخدم المؤرخون عبارات النضال الطويل هذه ، لكن كنوعٍ من البلاغة أكثر مما هى حقيقة دقيقة.

ومع ذلك، ففى غضون أسابيع قليلة، أضحى جليًا أنه ليست إنجلترا وحدها، بل كل المجتمع المدنى المتحرر، هددته قوةٌ لا تعرف شرفًا، أو قيوداً لحذرٍ أو فتوة، أو أخلاق، بل إن المسلحين داسوا كل عزيز ومحبوب كان على الأرض منذ قرون بأقدامهم الملطخة بالدماء.

ربما لو كان كونينجسبى يقيم فى إنجلترا لاتضحت لنا كثير من الحقائق فى الحال.

إن إقامته فى أمريكا جعلت رؤيته للصراع معتمةً بعض الشئ بسبب بُعد المكان.

ومع ذلك، فلقد أدرك تمامًا أين يكمن واجبه، من الوهلة الأولى.

لم يكن بوسعه التطوع فى الحال، لقد انحصر انجازه وواجبه فى إتمام التزامات أدبية مختلفة.

إن كتابه الأخير "عبيد الحرية" تم طبعه عدة مرات.

لقـد أتم عـمله هذا حين كـان يجب عليـه أن يتطوع فى الجيش، وواصل مع كبحه لذاته وكان عليه إنهاء عمله بسرعة واللحاق بالحرب، مما جعله تحت ضغط كبير.

لو أنه ندم على حياته العملية التى استوقفت حين وصلت إلى نقطة النجاح وثبتت كفاءتُها، لكنه لم يعرب عن ذلك قط.

إن أسـفه الوحـيد انصب على هؤلاء الذين هـم أقرب إليه عاطفيًا مماعمّق لديه الإحساس بالنفي.

وفى النهـاية، جاءت السـاعة التى أضـحى فيـها حرًا، أن يتبع أمر نداء الواجب الوطنى.

ذهب كـونينجـسـبى إلى أوتاواء ورأى السـيـر سـام هـيـوز وكلفه بمـهـمة فى مـيدان المدفعيـة الكندى Canadian Field Artillery فى تكملة تدريبه فى الكلية الحربية الملكيةRoyal Military Collegeفى كينجستون، أونتاريو.

مرت الأسابيع الأخيرة فى تدريبه فى معسكر الجيش فى بيتيواوا Petewawa على نهرِ أوتاوا .Ottawa River

هنالك اسـتطاعت عـائلتـه أن تلتـقي به فى يوليـو عـام ١٩١٦م.

بينما كنا معه، اختير مع خمسة وعشرين ضابطًا للخدمة الفورية فى فرنسا؛ وفى الوقت نفسه، تطوع أخواه الصغيران فى حرس البحرية، Naval Patrol، ثم جنّدوا فى كندا تحت إمرة القائد البحرى أرمسترونج.

تبدأ الخطابات فى هذا الكتاب بمغادرته أوتاوا.

مضت الأيام، أسبوعًا وراء أسبوع، والخطابات تصل بانقطاع، ملطخةً بالطين، مكتوبة بالقلم الرصاص فى الخنادق، على ضوء شمعة وحيدة، فى لحظات انتزعت من واجباتٍ قاسيةٍ محفوفةٍ بالمخاطر.

لم تُفصح الخطابات عن مكانه النائى فى ميدان المعركة.

عرفنا الآن أنه كان فى ألبرت Albertفى ثيفال Thiep-valفى كورسيليت، Courcelette.

وعند أخذ خندق ريجينا "غير المعروف بالنسبة له" كُلف أحد أبناء عمومته بعمل بطولى فى فرقة المشاة الكندية.

كان اكتراثه الثابت بمن تركهم خلفه فى البيت واضحًا فى كل ما يكتبه.

وقد عبَّر عن ذلك بأساليب عدة، عزيزة وقيمة، فى الزهور التى أمر بإرسالها من ساحة المعركة صباح كل سبت فى

منزلنا فى نيوآرك(٢) Newark وفى برقيات التهنئة بأعياد الميلاد التى وصلت فى الموعد المحدد.

لم ينس شيئًا كيما يلطّف من شعورنا بالوحدة إثر فراقه، أو كى يشحذ شجاعتنا، وكى نعى رباط المحبة الموصول.

الرؤية الرئيسية فى هذه الخطابات، تنصب بما فيه الكفاية على عبارة "تحَمّلوا" والتى استخدمتُها كعنوان لهذا الكتاب.

كانت سعادتنا غامرة أن نلتقى كونينجسبى فى لندن فى يناير من العام الحالى، عندما مُنح أجازة لمدةٍ عشرة أيام.

فى معرض حديثه، ذات ليلة، أكَّد لى حقيقةً أنه، ومن أدّوا الخدمة معه، كانوا بعد كلٍ ذلك جنودًا غير محترفين، لكنهم كانوا مدنيين فى الحرب.

لم يُحبوا الحرب، وحين انتهت الحرب لم يتبق خمسة بالمائة منهم فى الجيش.

لقد كانوا الرجال الذين تركوا المهن والحرف التى ظلوا مرتبطين بها بأفضل أجزاء من عقولهم، وعادوا إليها حين حان الوقت لذلك.

كانت الحرب بالنسبة لهم عملًا ولم تكن مهنةً.

ومع ذلك فقد أثبتوا أنفسهم جميعًا، كجنود رائعين، تحملوا أعظم المشاق دونما تذمر، وواجهوا الجروح وواجهوا

الموت بشجاعةٍ مرحة، جعلت من القوات الكندية ذات شهرةٍ حتى بين المضيفين من الرجال، كانوا شجعانًا وأبطالًا على قدم المساواة.

إن سر شجاعتهم يكمن فى كلمة واحدةٍ "تحمَّلوا".

كانت شجاعتهم، شجاعة روح أكثر منها عصبية.

كانوا مدركين لمُثُل العدالة الوقورة، الحُرية والبر التى قاتلوا لأجلها، ولم يتخلوا عنها حتى حققوا النصر، لقد رفعوا أنفسهم إلى مستوىً جديدٍ من العيش بانسلاخ أرواحهم إتمامًا لخضوعهم لسببٍ عظيم.

إنه الدافع العنيد الذى لا يُقهر للقوى الروحية التى تتحكم فى القوى البدنية.

هذه القوى الروحية تتغلب على العيش أو الموت.

إنها تصمد حتى النهاية، مهما طالت الحرب، غير مباليةٍ بكم الضحايا لتحقق النصر.

هذه هى الروح التى تتنفس عبر هذه الخطابات.

إن عظمة الحرب - كما يصورها ابنى - ليست فى شىء ظاهرى إنها فى روح الرجال "ثمة عظمة عجيبة بشأن كل هذه المذبحة وهذا الدمار- إن روح الإنسان تسمو فوق المأساة- ، كى يظلوا على قيد الحياة".

"كل من قابلتهم هنا ذوو شجاعةٍ مدهشة لأن يرتدوا تيجان الشوك كما لو أنها قبعات".

"لقد مزقوا نقاط ضعفهم وبدوا أقوياء وحققوا هذه الذروة التى أسماها أرسطو بالفضيلة".

بالنسبة إليه فهو يكتشف أن الطاعون فى أنماط الحياة يكمن فى عدم الثقة.

إنها أمراض العصر.

الشك فى أشياء عدة، أشياء كان من الحكمة تصديقها قد انتهى عند الشك فى قدرة المرء على الشجاعة.

كل هذه الريب والمصالح الشخصية انتهت بالاستسلام السامى للواجب المقدس.

كانت أبواب مملكة البطولة مفتوحة على اتساعها حتى إن الوضيع يمكنه الدخول، ومن يتظاهر بالتواضع أيضًا يصبحان رفيقين لرجال دريك Drake الذين يمزحون بينما هم يموتون.

ما من أحدٍ يدرك قوته الحقة حتى تقع تحت الاختبار.

إن متعة الحياة الأسمى هى أن تكتشف أن الروح تلتقى التجربة وتنجو منها.

إن ميدان سوم(٣) Somme الحربى الذى وفدت منه الخطابات أكثر جحيماً مما صوره دانتى.

إنّه بحر خضم من الوحل ممتلئ بجثث الموتى الذين لم يتم دفنهم، جثث منفرة وذات بثورٍ إثر إصابتها بطلقات الرصاص، بحر لا شجر فيه ولا جياد "الدمار البغيض".

و يبدو الرجال الذين يكدّون عبره أشبه بالمطرودين من الإقامة فى لندن أكثر منهم بالجنود.

لقد تم إنزالهم كمجموعة من الحيوانات، أكتافهم مستديرة، وهم منهكون إلى حد الموت، لكنهم يواصلون ويواصلون.

ليس ثمة وميض سيف أو بهاء زيٍ.

إنهم رجالٌ متعبون فحسب، عازمون على الصمود.

لسوف نكسب الحرب برجالٍ متعبين لن يمروا ثانية باختبار ضمانَ التأمين على الحياة.

"إنهم صامدون على طاولة العرض المكسورة، السمكرى رث الثياب والموظف من مكتبه والمزارع، اللندنى والكندى والاسترالى والنيوزيلندى، الذين جاءوا من ربوع الإمبراطورية، يثبتون إنسانيتهم يوميًا بالإخلاص لمثالٍ وبازدراء الموت.

وثمة قناعة مستقرة فى قلب كلٍ منهم بأن السبب الذى ضحى كل منهم لأجله كثيرًا يجب أن يكون النصر.

ليس لديهم أوهام بصدد سلامٍ مبكر.

إنهم يرون رفاقهم يتساقطون ويقولون هادئين "لقد مضى غربًا".

إنهم يؤدون أعمالًا بطوليةً كل يوم تستحق "صليب فيكتوريا(٤) "Victoria Crossفى حرب أقل ضراوة، لكننا مبتذلون فى هذه الحرب.

إنهم يرون أنفسهم يولدون من جديد روحياً، ويدركون على نحوٍ خافتٍ أن العالم يمضى نحو ولادة جديدةٍ معهم .

لا يزالون جدَ آدميين، يختمون رسائلهم بالقُبل.

إن الحرب لا تُجردهم من إنسانيتهم؛ لا تزال طبيعتهم بكرًا عطوفة رقيقة، لم تلوثها الأهوال اليومية التى يُكابدونها.

لكنهم ربحوا أرواحهم، وحين يسود السلام، فلسوف يأخذ هؤلاء الرجال معهم إلى الحياة المدنية مقدرةً هائلة ورفعةً ستستأصل تفسخ المجتمع بتوفيرهم ملح الشجاعة والإيمان.

قد يُقال أيضًا بأنهم لا يبغضون عدوهم، على الرغم من بغضهم للأهداف التى يقاتل لأجلها.

إنهم يقاتلون قتالًا نظيفًا مع رجالٍ يحترمون شجاعتهم.

إن الأسير الألمانى الذى يأتى إلى المعسكر البريطانى واثقٌ من المعاملة الحسنة.

إنه لا يجوع ولا يُهان، إن أسروه يشاطرونه حصصهم من الغذاء والكماليات بمرحٍ.

أحيانًا ما يبصق غاشم متجهم على وجه آسره، حينما يقدم إليه سيجارةً، غالبًا ما كان ضابطًا، ليس على نحو شخصي.

أحيانًا ما تحدث أفعال تدل على الشهامة تقف منارةً ضد خلفية الموت والمعاناة.

روى لى ابنى إحدى هذه القصص التى تُصور هذا.

أثناء معركةٍ عنيفةٍ، رأى ضابط بريطانى ضابطًا ألمانيًا مُطوقًا بالأسلاك الشائكة، وهو يتلوى ألمًا، كانت النيران مروعةً، لكنه كان مُعلقًا هناك لم تُصبه المدفعية، لم يستطع الضابط البريطانى الوقوف أكثر من ذلك وقال "ليس بمقدورى النظر إلى هذا الشاب المسكين، أطول من ذلك"؛ وهكذا مضى إليه تحت وابل القذائف وحرره، وحمله على كتفيه وأخذه إلى الخندق الألمانى.

توقف إطلاق النار، وشاهد الطرفان، الألمانى والبريطانى، فى عجبٍ!

عندئذٍ أقبل القائد الألمانى وانتزع صليبه الحديدى الذى يعلقه على صدره ووضعه على صدر الضابط البريطاني.

مثل هذه الواقعة تحقق أقدس مُثل الشهامة، وإنها تستحق الاحتفاء، لأن السجل الألمانى زاخرٌ بالعديد من الأفعال الهمجية التى لا يستطيع العالم غفرانها.

هذا السلوك السمح تجُاه العدو جلى للغاية فى هذه الخطابات.

الرجل الذى امتلأ عقله بالمثل العليا للتضحية والواجب، لا مجال لديه لضيق الكراهية.

بوسعه الإشفاق على خصمه الذى يفوقه فى المعاناة، والأكثر من ذلك أنه يعلم أن عدوه محكوم عليه.

إن القوات البريطانية اليوم لتعلم ذلك بناءً على علاماتٍ أكيدة.

فى الأيام المبكرة للحرب تسلح رجال غير مدربين، وتم تحريضهم ضد أفضل قوات مسلحة فى أوروبا.

لقد ضحوا بالجيوش الكندية؛ مثلما كان الجيش الخالد للقوات الإمبراطورية الذى أنقذ الموقف فى مونزه .Mons

غالبًا ما هلك الكنديون فى هذا القتال المبكر بسبب فائض تهورهم وشجاعتهم.

إنهم لا يزالون الأكثر جسارةً فى الجيش البريطاني.

لكنهم أفادوا من النظام الصارم للماضي.

يعلمون الآن أنهم لا يملكون الإرادة على النصر فحسب بل وسائل هذا النصر.

لقد أضحت مدفعيتهم بارزةً بسبب كفاءتها.

إنها نيران المدفعية المتواصلة تلك التى حولت نتيجة الحرب للقوات البريطانية.

لقد امتُدح عمل المشاة كثيراً، فقد خرجوا من خنادقهم بشجاعةٍ فائقة، وكل من رآهم كان على استعداد أن يقول مع ابنى "إننى أرفع القبعة للمشاة".

وفى هذه الكفاءة الحاسمة، تفوق على كل فكرة كانت فى الإمكان فى ساحات الحرب.

قرأت القوات البريطانية النبوءة الواضحة للنصر.

الحرب ستكسبها قوات الحلفاء، ليس لأنها حاربت من أجل الهدف الأسمى فحسب، الذى يعد عظيماً، على الرغم من قول نابليون المتشائم "إن الله فى صف أقوى الكتائب"، ولكن

لأنهم فى النهاية يملكون التفوق فى المعدات، والنظام والكفاءة.

فوق ذلك فقد مزقت القذائف الجبهة الغربية، وسط الوحل والمجزرة التى حدثت فى سوم، Somme، لقد أكسبهم كل هذا القتال قوةً ستدفع العدو الجرمانى عائداً عبر الراين، وتُعيد الحرية والسلام الدائم دونما عائقٍ إلى أوروبا والعالم.

ويليام جيمس داوسن

أولاً الرسائل

لكيما أُوضح بعض الإشارات فى هذه الرسائل؛ لسوف أضع الحوادث التى تؤججها باختصارٍ، وسأمدك بالقصص آن يتطلب الأمر.

لقد ذكرت بالفعل معسكر الجيش فى بيتيواوا(٦) Pete-wawaعلى نهر أوتاوا (٧).

المعسكر على بُعد سبعة أميال من بمبروك.

فى تلك المنطقة يعبر نهر أوتاوا بحيرة جميلةً فيما يواجه المعسكر فندق صيفى صغير – فى أبسط وصفٍ له–.

إنه الفندق الذى أقمت فيه مع زوجتى وابنتى فى الأيام المبكرة من شهر يوليو عام ١٩١٦م.

لقد امتلأ الفندق بزوجات الضباط الذين تمركزوا فى المعسكر.

فى النهار، كنت الرجل الوحيد من بين النزلاء.

، تدفق الضباط إلى الفندق فى الساعة الخامسة ظهراً على متن قارب بخارى بدائى.

كان ابنى يأتى كل يومٍ، واعتدنا زيارته فى المعسكر، لقد كان تدريبه الطويل مريراً فى كينجستون Kingston.

تضمن تدريبات شاقة بالإضافة إلى حصصه المتنوعة التى حضرها، وركوباً طويلاً أو مشيًا على الأقدام فوق طريقٍ متجمدةٍ قبل تناوله وجبة افطار.

حدث تغير مبهج بعد شتائه القارس فى المعسكر فى بيتيواوا.

انتصبت خيمته فوق جُرفٍ صخريٍ على مشهدٍ أنيق من امتدادٍ وسيعٍ من الماء، تشكله العديد من الجزر الصغيرة.

سبحنا طويلًا فى البحيرة، وكم تنزهنا بالقارب البخارى إلى حيث امتدادات الماء العالية.

وذات ظهيرةٍ، وحين أقلّنا زورقنا للقائه فى معسكر وارف، أخبرنا يومها أن:

جنرالًا من الجيش قدم إلى أوتاوا ليطلب خمسة وعشرين ضابطًا لأجل الحوادث التى تجرى من جبهة ميدان المدفعية الكندية.

تطوع ابنى فى التو، وتم قبوله.

وفى ذلك الحين، التحق ولداى الصغيران- اللذان جاءا إلينا فى بيتاوا لرؤية أحبتهما- بخدمة البحرية الملكية

للمركبات، وكان عليهما العودة إلى نيلسون، كولومبيا البريطانية (٨) لانجاز مهامهما.

لدينا مزرعة فاكهة كبيرة ٌ بالقرب من نيلسون وعلى بحيرة كوتيناى ، كان يديرها ابنى الثانى ريجينالد ، أما ابنى الأصغر إيريك فقد كان يعمل مع شركة قانونية فى نيلسون وقد اجتاز امتحاناته النهائية كوكيل للقضايا ومحام ٍ .

لعبت المزرعة دوراً كبيراً فى حياتنا؛ إن موقعها الطبيعى ما بين أجمل المواقع فى كولومبيا البريطانية .

كثيرا ً ما قضينا صيفياتنا هناك ، لا لنواصل تنمية بساتيننا فحسب ، بل لنستمتع بركوب الخيل والقوارب والسباحة .

لطالما تحدثنا عن بناء بيت ٍ على الطراز الحديث هناك ، لكن ذلك لم يحدث قط !

لقد كان الكوخ الصغير هو العمل اليدوى الخاص لريجينالد حين كان معظم المزرعة غابة قطرية أُضيفت إليها ، لكنها لا تزال فى أبسط صورة .

كان الكوخ الصغير أحد الأسباب التى لأجلها لم نقم ببناء

منزل ٍ على الطراز الحديث ؛ حيث أضحى الكوخ عزيزاً لدينا بالتعاون والذكريات .

كنا معاً هناك أكثر من مرة ٍ ، وقد كتب كونينجسبى قدراً كبيراً هناك .

بنينا هنالك مكتبةً صيفيةً - حجرةً كبيرةً على حافة واد ٍ ضيق ٍ سيأتى ذكرها فيما بعد - .

إن بعضاً من أسعد أيامنا قضيناها هناك فى تلك البيئة المحبوبة .

تهب ذكريات تلك الأيام الصيفية الزرقاء مراراً على كونينجسبى عبر شذا غابة الصنوبر الممتدة عبر الأميال ، وهو يكتب من الأراضى الموحلة فى سوم Somme

تركنا بيتيواوا لنذهب إلى المزرعة قبل أن يُبحر كونينجسبى إلى إنجلترا لإعداد ولدينا لرحلتهما إلى إنجلترا .

تركونا فى الحادى والعشرين من أغسطس لنؤجرها لرجال ٍ من الصين فى نهاية سبتمبر ، حين عدنا إلى نيوآرك - نيو جيرسى - .

الرسالة الأولى

أوتاوا ١٦ يوليو ١٩١٦م.

أحبتى الأعزاء:

حدثت أشياء كثيرة، مذ رأيتكم آخر مرة، من الصعب أن أعرف كيف أبدأ.

فى يوم الثلاثاء .. بعد تناولنا الغداء، بلغتنى الأنباء بأن نترك بيتيواوا صباح الجمعة القادمة.

تأهبت للرحيل إلى أوتاوا فى اليوم التالى، حتى الثلاثاء الذى يليه.

لقد جئنا إلى هنا مع كثيرٍ من الضباط ....

إنى أبحر من ميناء غير معروف على متن السفينة أوليمبيك مع ستة آلاف من القوات، إنها قافلة كبيرة.

ازداد شعورى أكثر من ذى قبل، وإنى على ثقةٍ أنكم تشاركوننى هذا الشعور، منذ زيارتكم للمعسكر- إنى منطلقٌ إلى جهادٍ، كنت سأفقد الكثير من الشرف إن لم أشارك فيه.

١٧ يناير فى الأجندة

أرحل الآن سعيداً راضيًا وأتضرع إلى الله أن نجلس ثانيةً فى الكوخ الصغير فى كوتيناى، ونُصغى إلى حفيف الأشجار فى البستان.

سيكون ذلك خلال الصيف، لسوف أظل أُفكر فى هذا الأمر طيلة الوقت.

مع بالغ الحب

كون

الرسالة الثانية

هاليفاكس ٢٣ يوليو ١٩١٦م.

أحبتى الاعزاء ...

قضينا طيلة الصباح على المرفأ، ننظر إلى حاجياتنا، وارتحلنا فى التو من الشاطئ طيلة ساعتين، تسلمنا خطابات تخبرنا بألا نذكر شيئًا عن إبحارنا.

ولم يُسمح لنا بالإفصاح عن موعد وصولنا تلغرافيًا من الجانب الآخر أيضاً، حتى تمر أربعة أيام كاملة.

تفكرون فيّ فى صباح هذا الأحد الهادئ فى المزرعة، وأنا أُفكر فيكم، وأتمنى أن أتوقف وأسأل نفسى .. هل كنتُ سأبقى هناك إذا ما كان الأمر بمحض اختياري؟

وأتذكر تلك الأسطر للشاعر إيمرسون:

" رغم أن الحب يتململ

ويسبب القروح

فإن صوته ينبعث

دونما مجيب

يُصبح هلاك الرجل أمانًا
حين يتحتم عليه أن يموت
من أجل الحقيقة"

لن أعود، إذا ما كان ذاك بوسعى، لكنما قلبى ضد "هذا الصوت الذى يتردد دونما مُجيب."

بكل السبل، تتعمق الأشياء داخلى، المؤثرات العائلية تبرز فى اشتهاءٍ وبهاءٍ، كمروج خضراء بعد إذ تغشَّاها المطر.

والدين يعنى أكثر، حب القليلين من الأعزاء والسامين من الناس بعيد عن النظر.

هل ينحنى كل ذلك فى أخطر اللحظات فى الحياة.

أتمنى لو عُدت ثانيةً، أتمنى كثيرًا، لو عدت ثانيةً، ثمة أشياء كثيرة جدًا بوسعى فعلها فى الأيام المتبقية من حياتى، أشياء أكبر، ولكن إذا كان علىّ أن أعبر البحار لأبقى، فسوف تدركون أن ذلك أيضًا سيكون حقًا وكبيرًا كأى شىء يمكننى فعله فى الحياة.

وثمة شىء سوف يمكنكم أن تفخروا به كما لو أننى عشتُ أُنجز كل ما تتمنونه لى.

لا أفترض أننى سأتحدث عن هذا مرةً أُخرى.

لكننى أُريدكم أن تعلموا أنه تحت كل ضوءٍ وكل طموحٍ ثمة شيء تعلمته منذ سنين فى هاييبيرى (٩) .Highbury

لقد صرت طفلًا بين يدى الله مرةً أُخرى، على ثقةٍ عظيمةٍ بمحبته وحكمته وثقتى المتزايدة فى أن ما يقضيه فى أمرى يظل دائمًا هو الأفضل لي.

هذا هو آخر خطاب بوسعى إرساله إليكم قبل أن يلحق بى الأولاد الآخرون.

ظلّوا شجعانًا، أحبتى، من أجلنا جميعًا، لا تجعلوا أيًا منا يجبن مهما حدث لنا.

إن لدينا عُرفًا علينا أن نحافظ عليه ونقود أنفسنا؛ لقد أصبحنا أُسرةً من الجنود والبحرية.

لسوف أتوق دومًا للوقت الذى تأتون فيه إلى إنجلترا.

أين سنلتقى أول مرةٍ، ومتى؟

ربما تنتهى الحرب، وعندها نأسف على حزننا لهذا الفراق.

وفقكم الله وحفظكم

كون

الرسالة الثالثة

على متن السفينة.٢٧ , يوليو ١٩١٦م.

أهلى الأعزاء جداً:

ها نحن نبحر عبر نفس المحيط الأطلسى القديم، أمضينا عديداً من الأوقات فى رحلاتٍ مُبهجة.

إننى متحيرٌ، كيف أجعل رسائلى شائقة، حيث لم يُسمح لى إلا بالقليل من الحديث عن الرحلة، فكل شىء تحت الرقابة.

ثمّ رجالٌ على متن السفينة سيعودون إلى الخنادق مرةً أُخرى.

أحدهم ضابطٌ على متن سفينة الأميرة بات، Pat، وقد أُصيب بجروح بالغةٍ فى جِيدهِ وفخذيه، وهو فى كندا يستجم.

ثمة طيّار شاب التحق بالخدمة أيضاً.

إنهم جميعًا فتية جد ُ جسورين بكل تأكيد.

استيقظت هذا الصباح مستغرقًا فى التفكير فى رحلتنا البخارية فى إنجلترا منذ عامين.

وفكرت على وجه التحديد فى مسائنا الأول فى كافيتيريا ثرى كابس Three Cupsفى دورست Dorset، أشعر وكأنى أعدو هناك لأراها ثانيةً لو كانت لدى عطلة للنزول إلى هناك.

كم تبدو العودة إلى هاييرى Highbury غريبة هكذا!

الفتى الصغير الذى ذرع الطريق جيئةً وإيابًا إلى مدرسةٍ وسط بارادايس رو Paradise Row، قليلًا ما تفكر فى الشخص الذى سيكون عليه حين يكبر.

إيه .. ! وددت لو أخبرتكم عن أشياء كثيرةٍ ليس من المسموح لى التحدث عنها، إذن لأضحى خطابى أكثر تشويقًا إذن.

سيغادركم الأولاد خلال سبعة عشر يومًا أيضًا، لذا فسوف يصلكم خطابى هذا وأنتم وحيدون، إنى آسف لحالكم أهلى الأعزاء، لكننى سأكون أشد أسفًا لو كنا جميعًا معكم، لو أننى كنتُ أبًا أو أمًا لفضلتُ موت أبنائى على رؤيتهم يفشلون فى أسمى تضحية نودوا إليها.

وإنى لأعجب من الرجال الذين يرقون إلى هذه المهمة العظيمة، وأعجب من رجالٍ عديدين مختلفين ارتقوا إلى مهام عظيمة وتحديات كبيرة.

ليس من رجلٍ يؤدى هذه المهام الآن.

اعتاد رجلٌ ما هنا أن يدفع للآخرين لقتل خنازيره لأنه لا يتحمل قسوة القتل بنفسه، وها هو الآن ذاهب لقتل البشر!

إنه عينةٌ من الجند، إني لأتساءل عما إذا كان هناك إله للحروب أم إنه ابتكار إنسانى أم أنه عذر لتصرفات الإنسان؟

الاثنين:

وصلنا آمنين رغم كل شيء، أرجو ألا تكون قد بلغتكم أنباء مرعبة بأننا قد غرقنا – عادة ما تنطلق هذه الأنباء حين تمخر سفينة عسكرية عبابَ البحر، إنني مسئول عن متاع الكتيبة وعليّ أن أصعد إلى ظهر السفينة الآن.

ستصلكم منى رسالة أطول فى القريب

إلى اللقاء

المخلص للأبد

كون

الرسالة الرابعة

شورنكليف SHORNCLIFF 19 أغسطس ١٩١٦م.

أحبتى :

لم يلمح لنا أحدٌ بما سوف يحدث، عما إذا كان سلاح المدفعية أكثر صرامةً أم خندق قذائف الهاون.

ثمة قليل من الشك أننا سنكون فى إنجلترا لفترةٍ قليلة لتلقى تدريباتٍ خاصة.

قرأت بالأمس خطاب أبى وأُمى- أنت شجاع للغاية – لم يخطر ببالك قط أن تصير أبًا لجندى وبحارةٍ، ومثلما تقول .. ثمة نوع من العرف بشأن الأسلوب الذى يجب أن يكون عليه آباء الجنود والبحارة.

اعترف ..! ألم تكن أكثر أمانةً سعيداً أن تكون أبونا بما نحن عليه الآن أكثر منك على ما كنا عليه؟

إنى أعرفك جيداً، رغم الوحدة والأسى.

لقد أُجبرنا على البسالة التى لم نعتقد أننا أكفاء لها.

حُملنا إلى كالفارى Calvaryحيث من الملائم أن تُعانى قلة من الرجال لكي تصبح كل الأجيال القادمة فى حالٍ أفضل.

إنى لأعى على نحوٍ واضح كل ما تعانونه.

"إن التحرر المباغت من كل ما نحن فيه أننا أملنا من الحاضر، التساؤل الدائم ما الذى يقع مستقبلاً.

نهاية أعمالكم هى الأسوأ لى، بوسعى المُضى للأمام بثبات بسبب عظمة المجد.

لم أعتقد من قبل أنه يمكنني التضحية بجسدى من أجل أُناس آخرين.

انتهى عهد عدم المقدرة على التعبير عن النبل.

كم أبدو غير واقعى أمام نفسي!

"أحقاً أننى هنا وأنتِ فى روكيز Rockiesالهادئة البعيدة؟"

أعتقد بأن التغيرات المتعددة هزّت أحاسيسى.

لقد دلفت قُدُمًا كرحالةٍ ما بين أسوارٍ عالية، أعشى فؤادى؛ لذا فإننى بالكاد أعى المشاهد الطبيعية.

إن أفكارى دائمًا معكم.

إننى أحسب فروق التوقيت فربما أتتبع أفعالكم بدقة.

وددت لو جئتُ إلى مكتبة البيت الصيفى وشاهدت زُرقة البحيرة معكم..!

إننى أُحب تلك المشاهد والذكريات أكثر من أى شئ فى العالم.

إلى اللقاء الآن، تشجعوا!

المخلص

كون

الرسالة الخامسة

شورنكليف SHORNCLIFF 19 أغسطس ١٩١٦م.

أعزائى:

لم تمر ثلاثة أسابيع منذ قدمنا إلى إنجلترا، لكنها تبدو دهورًا!

مضى الأسبوع الأول فى عُطلة، وفى الأسبوع الثانى اجتزت اختبارًا فى التدريب على البندقية، وإطلاق النار راقدًا.

وهذا الأسبوع انتهيت من ركوب الخيل.

الاثنين القادم سأبدأ فى تدريبات المدفعية.

هل تتذكرون الضابط "س" فى المعسكر؟

لقد دعوت شقيقه الصغير للعشاء معى فى الليلة الفائتة .. لقد عاد توًا من فرنسا بعين واحدة!

عاش ثلاثة أسابيع ونصف الأسبوع، ودُفن على عمق ثلاثة أقدام بقنبلة، إنه فتىً مرح مبتهج وحسن الصحبة مثلما نحب.

إنى أتذكره، كان له صديق عظيم، انضما إلى بعضهما فى بداية الحرب، "س" فى المدفعية وصديقه فى مدفعية المركبات، لقد تبادلوا التذكارات عند الوداع.

حمل تذكار "س" الحروف الأولى من اسمه وكلمة "بنفسج" مما يعنى أنها كانت زهرته المفضلة وأنه تمنى لو كان لديه بعض منها و نثرها عليه عندما دُفن.

كتب صديقه حروفه الأولى وكلمات "لا حاجة للزهور".

إنه أول أُسبوع لـ "س" ينقضى، لقد نجحا فى دفع العدو واتخذا موضعًا مُحصنًا فى غابةٍ ليعيدا الكر على العدو.

كان الوقت ليلاً أسود كالقطران، لكنهما أدركا أن الغابة لابد مشهد من الحرب إلى جانب غرقها فى خضم من الجرذان.

فجأةً طلع القمر ورأى "س" وجهًا عبر أيكةٍ أو بالأحرى نصف وجه.

اعتقد أنه قد تعرف عليه مُحدقًا فيه؛ فاعتدل حين قص القصة وقال إنه لم يكن مشوه الملامح جداً مثل الوجه الجانبى الذى ضربه.

انحنى وفتّش تحت قميصه وأخرج قرصًا معدنيًا مكتوبا

عليه "لا حاجة للزهور" لا أعرف إن كان عليّ أن أُكرر أشياء كهذى عليكم، لكن الوصف كان جد واضح.

قابلت العديد ممن عادوا من الجبهة الأمامية، لكن ما حيّرنى فيهم دهشتهم لقبول الموت، لا أعتقد بأنى أتقبل هذا كشيء طبيعى.

إنه شيء سمج للغاية فى إعاقته للعديد من الأحلام والخطط والحب.

المخلص مع كثير من الحب

كون

الرسالة السادسة

شورنكليف SHORNCLIFF 30 أغسطس ١٩١٦م.

أحبابى:

عدت لفورى بعد إذ أرسلت برقيةً إليك لتعلمى أننى مُغادرٌ إلى فرنسا.

صدرت لنا الأوامر أمس، وسوف أُغادر قبيل نهاية الأسبوع برفقة مجموعةٍ من الضباط، أمضيت فى إنجلترا يومًا فحسب فوق الأربعة أسابيع.

إن أسفى الوحيد لأننى سوف أفتقد الأولاد الذين سيسافرون إلى لندن فى ذات التوقيت لأننى سأنطلق إلى الجبهة.

من المفترض أن أُغادر بعد أن أقضى ثلاثة أشهر، وهذه المهمة فى بداية سبتمبر وبوسعكم الحكم.كيف سأقضى هذه المدة.

أُفكر فى لقاء "ر" و "إي" والبهجة غير المحدودة.

بأنانيةٍ أتمنى لو كنتم هنا فى تلك اللحظة، حقيقةً إنى سعيد أنكم بعيدون.

يخرج الجميع دون إثارة أحاسيس وبقليل من الوداع، لقد اختلقنا كثيرًا من الضوضاء حول زيارة عطلة الأسبوع.

وأخيرًا جاءت- تلك اللحظة المميزة التى عملت لها وانتظرتها- قلبى ساكن تمامًا.

إنه اختبار الشخصية الذى ارتبت فيه دومًا، لسوف أسعد إن لم أرسب فيه ثانيةً.

أيًا ما حدث فإننى أُدرك أنه سيسعدكم أن تتذكروا أننى فى قمة الضيق حاولت أن أكون رجلاً.

مهما كانت مؤهلاتى صغيرة.

لطالما عشنا أقرباء من بعضنا حتى إن ما يحدث لى يبدو يشعرنى بالوحدة أكثر من غيرى من الناس.

لطالما كان بجوارى شخص بعيون الحب العمياء يرى أخطائى نابعةً من بواعث أسمى.

إنى أمد يدى الآن عبر ستة آلاف ميل وألمسكم بخيالى فحسب، كيما أودعكم!

يا للمشاهد الغريبة التى سوف تشهدها هذى العيون، التى كانت عيونكم!

إذا ما أسدت يداى صنيعًا موقرًا، فتذكروا أنما هى أياديكم تلك التى تفعل.

إنه تأثيركم كعائلةٍ هو الذى أهّلنى للدور الذى ألعبه وأينما ذهبت..فأنتم تتبعوننى.

حلقتى الصغيرة المسكينة..أحبتى الثلاثة..

من فضلكم كونوا شجعانًا على نحوٍ عظيم.

لا تدعوا شيئًا يجعلكم جبناءً.

إن جميعنا يستحق التضحية؛ الأعظم تضحيةً يثبت للأكثر نبلًا أنه الأبقى، كم تبدو الكلمات جوفاء، ومع ذلك فإنها تأخذ معانى أعمق حين يُضفى عليها الزمن مصداقيةً أقوى.

إن الكلمة التى أبحث عنها هى كلمة "بسالة" كما أعتقد، علينا أن نكون إنجليز بواسل نساءً ورجالًا.

طيلة اليوم، والمطر ينهمر، وابتللت كثيرًا هذا الصباح.

ألا تتمنون لو أنى أُصبت بنوبة برد غير ضارة؟

حين كنت لا أود العودة إلى المدرسة، اعتدت أن أُبلل جوربى، عبثًا، كى أُصاب بالبرد، لكن البرد كان يتجنبنى حين أُريده بشدة!

كم تبدو طفولتى بعيدة!

بعيدة كما لو أنها لم تكن!

هل كنت بحق الروائى النامى فى نيويورك؟

عبوسةً وقرمزيةً وجسورةً أضحت الحياة..

إننى أنظر إلى القناة الإنجليزية من نافذتى، بحراً بارداً رمادياً أخضر والمطر عبره يندفع، وأسطول من المراكب الصغيرة يأوى إلى مأوى.

وبعيداً عن الستارة الضبابية تقع فرنسا وكل ما ينتظرنى..!

جاءت الأنباء بأن علىّ أن أبدأ، سوف أُكمل رسالتى من فرنسا.

المخلص المحب دوماً

كون

الرسالة السابعة

الجمعة ١ سبتمبر ١٩١٦م.

الحادية عشرة صباحًا

أعزائى أبى وأُمى

سأستقل السفينة فى الساعة الثانية عشرة والنصف؛ لذا فهذا آخر سطر قبل أن أصل إلى فرنسا.

أتوقع أن يكون الأولاد فى مكانٍ ما فى الشواطئ الإنجليزية الآن.

وددت لو قضيت ساعةً معهم.

تذكروا أنى سأبذل قصارى جهدى لأشرفكم، لسوف أفعل أشياءَ لأجل خواطركم هناك وأعيش لأجل المبادئ التى لقنتمونى إياها.

المخلص ذو القلب المفعم حباً..

كون

الرسالة الثامنة

فرنسا - الأول من سبتمبر ١٩١٦م.

محبوبتى م :

هاأنذا فى فرنسا مع نفس الروائح الغريبة والشارع يضج، والأولاد الصغار أنفسهم يلهون بالأطواق الخشبية على الأرض المليئة بالحصى.

تناولت الشاى فى محلٍ للفطائر وأكلت قطعًا من الكعك الكبير، نخب أيامٍ خوالٍ.

كان عبورنا فى البحر متقطعًا ومتقلبًا، ولو كنتِ على متن السفينة لأصابك دوارِ البحر.

بدا لى أنه يلزمنى المجئ فى إحدى الأجازات الرومانسية لأرى الكنائس والتاريخ الميت، الزى العسكرى فحسب ذكّرنى أننى جئتُ لأرى التاريخ يكتب، إنه عالم مضحك كى يُهشمنا.

مرت ثلاث سنوات مذ جئت إلى فرنسا، آخر مرة مذ كنتُ مع آرثر Arthur فى المقاطعة.

خمس سنوات منذ قمنا أنا وأنتِ برحلتنا الشهيرة.

وددت لو كنتِ هنا - هنالك أكوام من الممرضات الإنجليزيات فى الشوارع - أتوقع أن أنام فى هذا المكان وأنتقل إلى مكان وصولى غداً.

كم كنت أود لو أرسلت إليك خطاباً تصويرياً حقيقياً!

لو أننى فعلت - أخشى ألا تستلمينه - لذا فعلىّ أن أكتب عن أشياء عامة.

لا شئ من ذلك يبدو حقيقياً، إنه نوع من التظاهر الوحشى سوف أفيق منه، وحين أقص عليك حلمى، فسوف تضحكين وتقولين "يا لك من سخيف، تحلم أنك جندى، علىّ أن أقول أنك تبدو كذلك".

إلي اللقاء يا فتاتي الغالية

وفقك الله

كون

الرسالة التاسعة

الثامن من سبتمبر ١٩١٦م.

أحبتى:

أُرسل إليكم لأقابلكم لدى عودتى من كوتيناى -Koote nay.

غادرت إنجلترا فى الأول من سبتمبر وقضيت ليلةً عند نقطة النزول من السفينة، ثم بدأت فى مغامرة متجولاً بحثاً عن فصيلتى العسكرية.

إنى على ثقةٍ بتقديرك عدم استطاعتى الخوض فى أية تفاصيل، بوسعى أن أمدك بانطباعاتى الشخصية بشفافية فحسب.

ثمَّ ضابطان آخران معى، كلاهما من مونتريال .

كان علينا تناول الشيُكولاتة والنبيذ طيلة أربع وعشرين ساعة تحسباً منا لنقص الإمدادات.

فى الصباح الأول قمت بحلاقة ذقنى، واغتسلت من جرّاء تعبى من ركوب القطار، واضعًا مرآتى فوق درجة السلَّم.

كان المهندس مفتونًا بشفرتى الآمنة.

كان هناك كثير من الجنود البريطانيين(١٠) Tommies المشتركين فى الحرب الأولى جاءوا من الخنادق فى قطارٍ آخر، كانوا موحلين حتى أعينهم، وأظهروا كثيرًا من الدهاء.

لقد قاموا بطهى وجباتٍ عجيبةً تمامًا على مواقد صغيرةٍ وضعوا عليها صفائح الطماطم، وهم يجلسون القرفصاء على شريط السكة الحديدية.

رأينا أول أسرانا من الألمان فى مساء الأحد، شباب منكّسى الرؤوس ويبدو أنهم كثيرون.

مساء الأحد توقفنا تحت المطر لدى محطة، ورفعنا متاعنا على أكتافنا، بالمناسبة لقد شمل متاعنا كيس النوم وأدوات الحمّام وفيها معظم متاعنا، وكيسًا للملابس ويحمل المرء جرابًا للمئونة يُعلقه على الكتف.

حسنًا، لقد ترجلنا وقمنا بطلاء عربتنا العسكرية للتمويه.

وبينما نحن ننطلق عبر رذاذ المطر، نلف وراء العربة، أشرق قوسان من أقواس قزح؛ فتفاءلت بهما.

فى الحال وصلنا إلى معسكر للراحة حيث قصصنا قصتنا الحزينة عن الجنود البريطانيين العابثين ، حيث أقمنا طيلة الليل .

اعتنى بنا رجلٌ من سكان البلاد الجبلية ، Jock جميع سكان الهايلاندرز Highlanders يُطلَق عليهم اسم جوك Jock-.

فى الصباح التالى بدأنا الانطلاق من جديد فى لورى وانتهينا عند خيمة جمعية الشبان المسيحيين(١١) Y.M.C.A ، حيث أقمنا ليلتين.

فى يوم الأربعاء التقينا بالجنرال فى قيادة الفصيلة، الذى أرسلنى إلى فرقة مدفعية والتى قيل لى إنها أفضل فرقة مدفعية فى أفضل لواء.

وجدت فرقة المدفعية خرجت لتوها من الحرب، توقعنا العودة خلال يومٍ أو يومين.

الضابط القائد مايجور "ب" رجلٌ طيب.

الملازم أول الذى يشاطرنى خيمتى فاز بصليب عسكرى Military Cross فى برس Ypres فى الربيع الماضى.

سعيد أنا للغاية – مما سوف يسعدك – وأتوق إلى أول مذاقٍ لحربٍ حقيقية.

كم أنا بعيدٌ للغاية عنك.. بعيدٌ على نحوٍ غريب، كل التجارب تبدو مختلفة ولم يشاركنى فيها أحد.

قبل أن يصلك هذا الخطاب بوقتٍ طويل سوف أشترك فى الحرب عدة مرات.

فى الوقت نفسه منذ ثلاثة أعوام، جاءتنى مسحة حظ، كنت أثب عبر شوارع نيويورك.

أشعر اليوم بأنى أكثر سعادة، حيث أشعر بما لم أشعر به من قبل قط عندما كنت أكتب فحسب، ذلك لأننى أؤدى شيئًا صعبًا ليس لنفسى فيه دور.

لو أننى أعود ستكون الحياة أقل قلقا.

أتخيل هذا الخطاب حين تتسلمينه، وأتخيل كل من يقرؤه وأتخيل تعليقاته.

أقمت مقارنة فى عقلى – هذا النحيل الصغير– لامتداد من النسيج حوالى أربعة أقدام وفرقة الفرسان والمدافع والحرّاس صاعدون هابطون، ثم البيت الغالى والأوجه الحبيبة.

إلى اللقاء، لا تُرهقى أعصابك.

المحب

كون

الرسالة العاشرة

الثلاثاء ١٢ سبتمبر .

حبيبتى م:

ستتسلمين خطاباتى الأولى التى تعطيك عنوانى هنا.

لقد جاءت عربة نقل البضائع إلى حيث موقعنا، لكنها لم تُحضر لى سوى خطابٍ واحدٍ مذ كنت فى الجانب الآخر.

جالساً كنتُ فى خندقى المسقوف ، والقنابل تمرق فوق رأسى ، للقنابل صوت تمزيق الكتان.

إن لدى خبرة حديثة العهد بإطلاق النيران من المدفعية، وغدا سوف أصعد لأول خط الخنادق.

إن من الخارق للعادة أن تصبح الحرب أمرًا مألوفًا لرجل يندفع بين آخرين يعتبرونها عادية.

على بُعد أقل من خمسين ياردة يرقد ميتًا متعفنًا مكشوفًا، جنديٌ ألمانى، لى أن أقول إنه دُفن وأخرجته قنبلةٌ من قبره.

الأربعاء السابعة مساءً:

وصلت خطاباتك منذ ساعتين- إنها أول خطاباتٍ تصلنى هنا- ولم أفعل شيئًا سوى قراءتهم وإعادة قراءتهم.

كم يعيدوا إلىّ الأساليب القديمة للحياة بحبهم وأشواقهم.
سأرتدى رابطة العنق التى أرسلتها أُمى الغالية، غداً، سوف يكون رائعًا أن أشعر أنها حاكتها بيديها.
لم يصل صليبك بعد يا عزيزتي.
سيكون قفّازاك جميلين فى الشتاء.
لم أتلق شيئًا من الأولاد بعد.
قمت اليوم برحلةٍ داخل ميدان القتال "No man 's land1".(١٢)
حين تنتهى الحرب سأُخبركم جميعًا عنها.
أعتقد أن الصورة ستعلق بذاكرتى للأبد.
هنالك الكثير ستودين سماعه، وليس مسموحًا لى بأن أقص سوى القليل.
اسألي جنرال. ماك. M C إذا ما كان يوجد فى برينسيتون Princetonمع رجلٍ يُسمى برايس -Priceمعلم هنا.
ليتك ها هنا لترى الإثارة حين تأتينا عرباتُ الماء بالبريد وتسلّم الخطابات.
أخبر بعض رجال المدفعية فتياتهم صراحةً أنهم ضباط، وهكذا عنونوا خطاباتهم كنقباء.

عليّ أن أُراقب بعض ردودهم، وبوسعى إخبارك أنهم غالبًا ما يكونوا مرحين مثلما هم مثيرون للعواطف.

إنهم أكثر صبيانيةً بالنسبة لأمهاتهم أيضًا، ولديهم طوابير من القبلات، أعتقد بأن الرجال دائمًا أطفال، إذا ما تأملت دواخلهم.

لقد ملأتنى الصور الشمسية رغبة فى أن أكون معك فى كوتيناى .Kotenay

لكنك لستِ هناك، حين يصلك هذا الخطاب، غالبًا ما ستكون هناك مدفأةٌ فى غرفة الجلوس ونكهة قهوةٍ نفّاذة وتبغ.

ستجلسين على مقعدٍ خفيض، أمام المدفأة بينا أصابعك تفركُ خصلاتِ شعركِ فوق أُذنك اليسرى وأنت تقرئين هذا الخطاب بصوتٍ مرتفع.

وددت لو مشيت إليك، وهمستُ إليك قائلاً.. لا حاجة بنا للرسائل الآن.

يوما ما.. قريبًا، إننى أبتهل وأتوقع، أخبرنى والدى العزيز وأُمي الغالية أن ردودهما سوف تصل.

يا للحب الذى يبثه كلٌ منكما فى خطاباته!

أخشى إن سرتُ على هذا المنوال أن أجعلكما تعساءَ.

منذ كتابة هذا الخطاب.. تناولت العشاء، نائمٌ أنا الآن فى خندقٍ جديد وأتناول حمامًا من العفن فوق أمتعة نومى كلما قصفت المدافع.

لا يمانع المرءُ فى ذلك على نحوٍ خاص، لاسيما حين تعلمين أن جدران الأرض تجعلك فى أمان.

لديّ شمعةٌ فى صفيحة بترول قديمةٍ، وتراوغنى الظلال، وأنا أكتب.

تعرفين أن لعبة المدفعية هذه رياضة جيدة.

ويأخذ المرءُ كلَ ما تأتى به، على نحوِ المِزاح.

رائعون هم الرجال، إن مزاحهم يأتى حين يتطلب الأمر غمًا!

من المؤكد أن هناك بعض المزايا التى تُنميها الحرب، رغم التكلف.

إنى لأخلع قبعتى احترامًا وتقديراً لجنود المشاة السريّين.

وفقك الله، ووفقكم جميعاً

حبيبك

كون Con

الإشارة فى الخطاب السابق إلى صليب برونزيٍ صغيرٍ لفرانسيس أسيسى Fransis Assisi، لقد زرتُ أسيسى منذ سنين عدة، ولدى مغادرتي منحنى الرهبان أربعة صلبان برونزية صغيرة، وقد أكدوا لى أن من يرتدى هذه الصلبان يدافع بأمانٍ تحت كل الأخطار ببركة صلوات القديس فرانسيس.

كتب إلينا كونينجسبى قبل أن يغادر شورنكلف Shorn-cliffإلى فرنسا ، وسألنا إذا ما استطعنا أن نرسل له شيئًا يعلقه حول جيده كيما يجلب الحظ له .

لحُسن الحظ وجدنا أحد صلبان القديس فرنسيس فى المزرعة، وأرسلت شقيقته هذه الخطابات إليه، وآمنةً وصلت، وقد ارتدى الصليب منذ ذلك الحين.

الرسالة الحادية عشرة

١٥ سبتمبر ١٩١٦م.

والدى الغالى:

آخر خطاباتك إلىّ.. كتبتَه فى صباحٍ هادئٍ من صباحات أغسطس، فى البيت الصيفى فى كوتيناى.

لقد جاء البارحة مساءً على عربة نقل الماء من خطوط نقل البضائع إلى حيث مشهد مغاير قليلاً.

مرَ أربعة عشر يومًا مذ غادرت إنجلترا، ورأيت حركةً بالطبع.

بسرعةٍ تتحرك الأشياءُ فى هذه الحرب، إنها لعبة تُخرج أفضل وأسوأ ما فى الإنسان من صفات وإذا ما كانت البطولة المطلقة هى الفضيلة الأجمل التى يتمناها المرء، والبطولة معطرة بشعورٍ طاغٍ من السخرية، حينئذٍ فإن كل من قابلته هنا لديه الجرأة كى يرتدى تاجه من الأشواك كأنه قبعة وأجراس ليفعل ذلك من أجل خاطر الشراكة والشجاعة.

أعتقد أن ما يعنيه أرسطو بالفضيلة هو القمة.

الرجل القوى أو الرجل الطيب أو الرجل غير العاقل بوسعه أن يمشى ليلقى الألم بابتسامةٍ على فمه، لأنه يعلم أنه قوى بما فيه الكفاية كى يتحمل هذا أو أنه فاضل بما يكفى ليقاومه، أو لأنه غبى حيث ما من مُخيلةٍ لديه.

لكن هؤلاء الشباب ليسوا أقوياء بوجه خاص ولا طيبين ولا عديمى العقل.

إنهم شبيهون بالأطفال أكثر، متقلبون تمامًا بشأن المتاعب، وحذرون إلى حدٍ ما حتى إنه ليس من المُجدى لديهم أن يكافحوا لأجل شيوخهم.

لذا فلديهم أكثر الأوقات فرحًا، حين يستطيعون وعندما تستدعيهم المربية والموت إلى الفراش، فهم يطيعون دون أدنى دهشة.

إن ما يفعلونه تجاه الموت يُلهمني.

إنى أبحث بعقلى كى أكتشف عِظم الحافز الذى يدفعهم، لكن ذلك دائمًا ما يروغ مني.

هؤلاء الغلمان ليسوا من الصنف الذى يُفلسف الحياة، إنهم ذلك الطراز- العديد منهم - الذين يرتدون عادةً سراويل قصيرة ويدخنون غليونًا مقصوصًا.

أفترض أن الشهداء المسيحيين كانوا سيفعلون نفس الشيء، فى ذلك اليوم إذا ما اكتشف رومان رالى(١٣) Ro-man Raleigh التبغ.

كتبت ذلك حوالى منتصف الليل ولم أفعل أكثر من ذلك؛ حيث سهرت للسادسة أحمل البطارية وأُشعلها.

بعد إضافة صفحةٍ أُخرى أو اثنتين أريد أن أنال قسطًا من النوم، حيث من الأغلب أن أنهض لمحطة المراقبة لأرى تأثير القصف فى الليلة الماضية.

و لكن قبيل أن أدخل أريد أن أُخبركم أننى حصلت على رسائل جميلة من الجميع.

إننى الآن على اتصالٍ بكم جميعًا.

ما أشبه ذلك بالسؤال ما حالك.. كل ليلةٍ وكل صباح!

بوسعى أن أجرؤ وأقول أنك سوف تتساءل كيف تشعر حين تكون تحت قصف النيران.

هذا ما أشعرُ به.

أنت لا تُدرك الخطر حتى تُفكر فيما بعده، يشبه ذلك لعبة جوز الهند على رأس الزنجى، أنت رأس الزنجى فحسب!

تنال كثيراً من التركيز فى رياضة المراوغة لأنك خائف.

سوف تسمع الجنود البريطانيين، يقولون إذا اندفع أحدهم بالقرب منهم..تحصّن أيها الولد الشقى تبقت خمس دقائق!

كما لو أنهم يوبخون بطاريات الهاون(١٤) غير المرئية على قصفها الفاسد.

الكلمة العظيمة للجنود البريطانيين هنا هى "شئ سئ" وهى مزيج من الإنجليزية والفرنسية.

إذا ما كان ذلك يبهجهم فلا بأس، فإنها جيك (١٥) Jake، رغم أنه ليس هناك من يدرى من أين جاءت كلمة جيك .Jake

عليَّ أن أغفو قليلاً، فلست أدرى متى عليّ أن أنطلق.

المخلص دوماً

مع حبى

كون Con

الرسالة الثانية عشرة

١٩ سبتمبر ١٩١٦م.

أُمى الحبيبة..

كنت فى فرنسا طيلة تسعة عشر يومًا، ولم أستغرق وقتًا كى أشترك فى المعركة؛ فسرعان ما سأكتسب خبرةً.

لقد عدتُ من ٢٤ ساعة فى بريد المراقبة التى يرقب المرء فيها آثار قذف المدفعية، وقد أدركت الآن وصفحت عن العبارة التى التقطها الأطفال الفرنسيون من الجنود الإنجليز على اعتبار أنها حادث متكرر "blì. Mud"، لم أعرف قط أن الطين يُمكن أن يكون سميكًا ولزجًا.

تلاشت كل مخاوفى من ضرب النيران، لقد آمنتم بأنكم إذا قُدِّر أن تموتوا فإنكم ستموتون.

ولكن جملة ديفيد تظل تتردد فى عقلى "عشرة آلاف سوف يسقطون إلى جانبك، لكن ذلك لن يؤذيك".

من الغريب أن الرجال الأكثر خوفًا، هم الذين يموتون بسهولةٍ!

ضُرِبَ صديق لـ جنرال ماك M C في يوم ٍ آخر على بُعد ثلاثين ياردة مني ، كان شاباً من برنستون . Princeton

لقد ذكرته في إحدى خطاباتي السابقة.

جُرح حكمدار قسمنا منذ يومين، وهو على الأغلب في إنجلترا الآن.

عابسَ الوجه ذهب، في فرقة مدفعية قائلاً بأنه لن يقايض خبرته الحربية بأي ثمن.

أرتدي الآن رابطة العنق التي أرسلتها إليّ ، كم تحسدني فرقة المدفعية عليها!

جميع الضباط يريدون مني الإفصاح عن اسم فتاتي.

ذلك لا يحدث أبدًا؛ حيث إن الأمهات سيفعلن أشياء كهذي.

شكرًا للقوى التي أوقفت المطر، ولسوف أجف.

ألتحف المِلاط من رأسي إلى قدميّ، راقدًا على بطني تحت المطر، أرمق قمة المزرعة.

أليس هذا تغيرًا مضحكًا من الإفطار المريح وزحام الملاحظات وإضرام النار؟

هل تريدين أية تذكارات ألمانية؟ بوسعي الآن فحسب، الحصول على الوافر منها.

إن لدىّ "سونكى" بندقية جيداً وحزاماً عليه ذراع كيسر بِل(١٦) Kaiser Bill لكن ليس بوسعك إرسال هذه الأشياء من فرنسا.

يُقسِم الألمان أنهم لا يستخدمون سونكى البندقية مع حواف المنشار، لكن بإمكانك شراءها بخمسة فرنكات من الجنود البريطانيين، لقد أخذوها من الأسرى أو التقطوها.

لا تقلقى بشأنى إننى مُحتال صغير وعظيم، أحتال على دوى المفرقعات، إلى جانب أن لدىّ خرافة، أن ثمة شيئًا فى قوة صليب "م" يباركنى.

جاءنى مع القفازات، وإنه حول جيدى الآن.

تعلمين كيف يبدو الأمر حين يضربون فحمًا أسفل طريق حديديةٍ داخل مخبأ.

تخيلى الآلاف منهم.

هذا ما أسمعه وأنا أكتب.

وفقك الله

إنى فى غاية السعادة

المخلص للأبد

كون

الرسالة الثالثة عشرة

١٩ سبتمبر ١٩١٦م.

والدى الحبيب:

أكتب إليك خطاب عيد ميلادك مبكرًا، حيث لا أدرى.. ربما سأنشغل الأسبوع القادم، ولست أعلم كم يستغرق الخطاب من الوقت كى يصلك.

تعلم كم من الحب أُرسل إليك،وكم أود أن أكون معك.

هل تتذكر عيد ميلادك منذ ثلاثة أعوام،حين وضعنا آلة الفيكترولا(١٧) victrolaخارج حجرتك؟

كانت تلك أيام اللهو،حين كانت أشياء كثيرة.. تبدو ممكنة.

إننى أفضل الشخص الذى أكونه على الشخص الذى كنته حينئذٍ.

كانت الحياة مفعمة بالأنانية،رغم كونها مترفة.

حسنًا لقد رأيت ميدان معركتى الأول وإننى لأتخيل روعة الحرب.

الروعة فى كل أرواح الرجال الذين يزحفون عبر القاذورات كالديدان، وليست الروعة فى أى شىء خارجى.

هنالك شاب استحق صليب النصر أربع مرات إضافية بالعَدْوِ عائدًا تحت قذائف قنابل الهون لاستطلاع الأنباء التى تُريدها فرقة المشاة التى تعتمد عليها المدفعية أكثر.

كنتُ أقوم بالمراقبة من أجل لوائى فى المحطة الأمامية فى ذلك الوقت.

كم نجح فى البقاء على قيد الحياة عبر المحنة التى لا يعلمها أحد.

لكنما الرجال يضحكون حين يقومون بأشياء كهذى.

إن ذلك جيد.

ميدان الحرب الحديثة نوع من الكراهية، تَصَوَّر امتدادًا وسيعًا من ريفٍ ميت، وقد حفرته القنابل، وشوهته كما لو أنه أُصيب بالجدرى.

ما من ورقة شجرٍ أو نصل حشيشٍ فى المشهد.

كل المنازل تم تسويتها بالأرض أو دُمِرَت، لا طيور تغرد، ما من شىء يتحرك.

الصوت الوحيد الحى ليلاً هو صوت هرولة الفئران.

تدخل إلى نوعٍ ما من قنوات الرى يُسمى خندق يقود إلى آخر ثم إلى آخر.. فى حيرةٍ مُحزنة.

تبـرز الأقـدام من الجـوانب والأذرع والوجـوه، الموتى من المواجهات السابقة.

أحـد شـبـابنا- صـدفـةً - تعـرفنا عليـه من خـلال حـذائه العسكرى أو زيه العسكرى أو "ألمانى مسكين متعفن"، بوسع المرء نسيان الشحناء فى حضور الموتى،إنه لمن الصعب أحيانًا أن نُمـيـز مـا بين الحى والذبيح، كـلاهـمـا صـامت يرقـد فى مجارى الماء، فى كومةٍ طينية.

إنك تندفع - لاسيمـا إذا مـا كنت تؤدى عمـلاً من أعمـال المراقـبـة - حـتى تعـبـر خطك الأمـامـى وتخـرج إلى الأرض المتنازع عليها حيث يلتحم الجيشان.

خـرجت فـجـراً باكـراً وجئت إلى عـرض مدام توسـود(١٨) Madam Tussaud للموتى المتجمدين فى أكثر المواقف روعةً.

منفصـلاً عن الأرض، كان بعض الموتى، يدٌ مضـغوطة إلى الجـرح والأخرى تشير، والرأس غـارقـة ، والشَعـر ملتصقٌ بالجبهة إثر المطر المتكرر.

رحتُ أتسـاءل.. كيف كان سيبدو رفـاقى لو أنهم ماتوا منذ ثلاثة أسابيع!

أضحى خيالي معتلاً ومريضًا على نحوٍ واضح.

حين كان عليّ أن أخطوَ فوق الجثث، بدا كما لو أن الموتى يقبضون على معطف خندقي، ويسألونني المساعدة.

مساكين هؤلاء الوحيدون... إنهم جد شجعان ومجهولو الأسماء حين يموتون.

في مكان ما، ثمة امرأة أحبت كلاً منهم وتدفع حياتها من أجل أن تحظى بفرصتي؛ كي تلمس الطينة التي كانت حبيبةً إليها.

إن ذلك يشبه زيارة ميدان القتال No man's land في يوم القيامة حينئذٍ يراك الألمان وتبدأ شظايا القنابل في السقوط، ثم تجثو على ركبتيك وتعدو ككلبٍ إليها.

يعتاد المرء على ضربات القنابل إلى حدٍ ما،لكن ما من رجلٍ يأبى الانحناء حين يرى إحدى القنابل قادمة.

لكن أسوأ الأشياء هي قرقعة دويها لأنها لا تمنحك فرصةً للهرب منها، إنها تنقض وفي ذات اللحظة تدوي.

هنالك الكثير مما أود إخبارك به، بوسعي أن أقول فحسب، إننا نصنع تاريخًا في هذه اللحظة.

يا له من خطاب عيد ميلادٍ عجيب!

إنى أُفكر فى كل أعياد ميلادك الأخرى، تلك التى كانت قبل أن أُقابل هؤلاء الرجال الصامتين ذوا الوجوه الخضراء والصفراء والشفاه المتفحمة التى لن تنطق ثانية أبداً.

يا للأوقات السعيدة التى قضيناها كأسرة!

ويا للنزهات السارة التى أخذتَنى إليها فى تلك الأيام المبكرة مرتديًا بذتى البحرية حين رحتَ تلتقط الصور.

ومع ذلك، لأجل كل الأشياء التى أشهدها الآن، والتى تستحق الإدانة، فلم أكن أهدأ منى قلبًا من قبل، مثلما أنا الآن.

إن إذعانك لإنكار الذات الحتمى؛ يجلب لك السلام الذى لم يجلبه لك بحثك عن ذاتك.

لذا...لا تدع عيد ميلادك هذا يكون أقل مرحًا وبهجةً لغيابى.

إن ذلك يجب أن يكون أفضل فخراً فى حياتك؛ لأن مثلك قد علَّم أولاده جميعًا أن يؤدوا الأشياء الصعبة التى تبدو صحيحةً.

كم كنتَ ستُدان لو صار أيٌّ منا مُحتالاً.

"وددتُ لو اشتريتُ لك أشياء جميلة، وأكون جنديًا،ما وسعنى ذلك"

تعود الآن هذه السطور ثانيةً إلىّ.

قرأتها علىّ أول مرةٍ فى حجرة المكتب الصغيرة المظلمة من كتابٍ أخضر مستطيل.

قلما اعتقدت بأننى سأكون جنديًا – حتى الآن أكاد لا أُدرك تلك الحقيقة – يبدو ذلك حلمًا سأصحو منه.

هل حقًا أننى أقتل الناس يومًا بعد يوم؟

هل أنا نفسى في خطر؟

أيًا ما حدث فلستُ خائفًا، ولسوف أجعلك تسعدُ بى.

كثير من الحب

كون

** القصيدة المشار إليها فى الخطاب كُتبت بالفعل من أجل كونيجسبى، حين كان ما بين الخامسة والسادسة من العُمر، أما حجرة المكتب الصغيرة المظلمة التى يصفها، فقد كانت فى المنزل القديم، فى كنيسة ويسلى Wesley 's Chapel، فى طريق مدينة لندن، وقد كانت جد مظلمة ولها نافذة وحيدة،تُطل على فناءٍ قذر.*

أما الكتاب الأخضر المستطيل فهو الكتاب الذى اعتدت أن أكتب فيه قصائدي، ومازلتُ مُحتفظًا به، وإنه لتصويرٌ لتماسك ذاكرة الطفل؛ حيث إنه مازال يذكره.

كانت القصيدة تُسمى "برنامج ولد صغير" وقد سارت على هذا النحو:

أنا جد صغير وضئيل

حتى إن الكبار حين يمرون بي

أظنهم عالين جداً

لن أُصبح رجلاً قط

ومع هذا

فأريد أن أصبح رجلاً

لأن هناك الكثير الذى أريد فعله

أود شراء أشياء جميلة لكِ
وأن أكون جنديًا
إذا ما استطعت
حين أكون رجلًا
لن أدع الأطفال الفقراء
يعانون جوعًا
أو يُساء استخدامهم
لن أدعهم يقفون كى يستجدونى
بأقدامٍ عاريةٍ فى البلل
ألست تضحك الآن
– قبِّل الأب الفم الصغير الجاد ويقول–
لقد جعلتنى أبكى
بدلاً منك أيها الصغير المبارك المتفائل.

الرسالة الرابعة عشرة

٢١ سبتمبر ١٩١٦م.

حبيبتى الغالية م:

أرتدى تميمتك، بينا أكتب ولدى اعتقاد خرافى بتأثيرها.

إن تأثير جواربك جد ملحوظ، لقد ارتديتها أول مرةٍ فى رحلة على محطة المراقبة الأمامية.

كان عليّ أن أرقد على بطنى فى الوحل،إن أنفى فحسب يبدو فوق الحاجز، قلما اعتقدت بأننى سأرتدى جواربك فى أماكن قبيحة عندما صنعتها لى.

الليلة الماضية أرسل إلينا كل من الملك والسير سام Sam تهانيهم، لقد قمت بإحداث فرقعة فى الوقت الصحيح.

بوسعى القول أنك تعلمين عما نفعل أكثر منى.

هذا الصباح فحسب التقطت جريدة لندن تايمز London Times وقرأت تقريراً كاملاً عن كل شىء شاهدته.

من المحتمل أن التقرير ما يزال فى صحف نيوآرك New york.

"وطن لأعياد الميلاد" هذا ما يعد به الجنود البريطانيون أُمهاتِهم وحبيباتِهم فى كل رسائلهم.

هذا ما أمتدحه.

لقد قُدمت إليَّ مهمة فى جيش الاحتلال.

ولكن "وطن لأعياد الميلاد" هل سيكون عيد الميلاد عام ١٩١٧م؟-لا أظن أن ذلك سيكون أكثر قريبًا.

كثير جدًا من الحب

كون

الرسالة الخامسة عشرة

الأحد ٢٤ سبتمبر ١٩١٦م.

أُمى الحبيبة:

لتوها وصلتنى قلادتك، علقتها حول جيدى مع صليب م.

هل كان صليب م هو الذى جلب لى الحظ ؟

كنت فى حفرةٍ حين هبطت قنبلة وقتلت رجلاً على بُعد قدم منى وجرحت ثلاثةً آخرين- كنتُ والسيرجنت Sergant الوحيدين اللذين خرجنا صحيحين.

الرجال الذين كانوا هنا لبعض الوقت، لديهم دستة من القصص المشابهة.

ويتحدثون صائحين، لقد كان فأرًا هو الذى أنقذ رجلاً؛ جعله يقظًا إلى مثل هذا الحد، حتى إنه صمم على الانتقال إلى مكان آخر!

فى اللحظة التى خرج فيها الرجل من الحفرة، سقطت قنبلة على سطحها.

ستُسرين حين تعلمين أن لدينا قسًا ناضجًا أو بادر Pa-dre كما يطلقون على القس.

لقد لعب اللعبة معنا، وأنمتُ صداقةً عظيمةً معه، تناقشنا معًا فى الأدب والدين، حين كنا نشعر بالسأم، تحدثنا فى بيت إيماننا الذى يُختبر، إن المرء ليبدأ فى التساؤلات الغريبة هاهنا حين يرى ما سمحت به القدرة الإلهية أن يفعله للآخرين.

وهكذا، إنه لمن الحَسن أن يكون المرء على صلةٍ وطيدةٍ بقسٍ ذى قلبٍ كبيرٍ، يُخاطر بحياته يوميًا كيما يُحادث الجنود البريطانيين- الذين يموتون- عن الحياة الأبدية.

وددت لو أخبرتك عن أفعالي، لكن ذلك ضد الأوامر.

ربما تقرئين فى الصحف عن الأفعال التى شاركت فيها ولا تُدركين قط بأننى كنتُ هناك.

عشنا أغلب الوقت على المعلبات ولكن شهيتنا تجعل كل شىء شهيًا.

العيش والنوم فى العراء، يجعلان المرء جارحًا "مفترسًا" ويتعلم المرء أن ينام رغم زئير المدافع.

وفقكم الله جميعاً ومنحنا قلوباً آمنة

المخلص دوماً

كون

الرسالة السادسة عشرة

٢٨ سبتمبر ١٩١٦م.

أحبتى:

إننا وسط مشهدٍ قديمٍ جيد، لذا فليس ثمة فرصة كبيرة للكتابة.

يكفى أن أقول إننى قد رأيت الجانب الكبير من الحرب الآن، والشجاعة الخارقة وغير المحسوبة.

فرغ الرجال من الخندق للهجوم بشوقٍ كما لو أنهم يريدون اللحاق بالأتوبيس.

إذا ما أردتم فكرة عن الوجبات كيف تكون، حين تصطف الصفوف، يأمر ماك ألبن McAlpin بمد مائدةٍ حيث تقاطع طريق ٣٤ مع برودواى Broadway وينتظر حركة سير الجزء الأعلى من المدينة على طريق إليفيتيد Elevated.

من الجميل رؤية النادلين يتفادون الحفر- الناجمة عن قذف القنابل- وهم يحمالون الأطباق.

إنه يومٌ خريفى جميل... ذهبيٌ مُبهج، لقد تصورت كيف كان يبدو هذا البلد قبل أن تضربه الحرب وتُخرّبه.

كنت ضابطَ سِّريةٍ مراقبةٍ فى السادس والعشرين من سبتمبر، ما كنت لأدع ما أرى بآلاف الدولارات.

لقد كان عملاً مؤثرًا وناجحًا، والقذائف ونيران الآلات العسكرية تهمى فى كل مكان، ولكن يبقى للذكرى شىء ما مجيد.

لَكَم سعدت سعادةً عظيمةً كونى مفيداً فى جلوسى فى موقع ألمانى لإطلاق النار.

أعتقد بأن الحرب ستنتهى فى غضون اثنى عشر شهراً.

سعادتنا الكبرى فى تأليف قوائم طعام الوجبات الذى سنتناوله، حين نعود إلى الوطن.

إلى اللقاء الآن

كون

الرسالة السابعة عشرة

١ أكتوبر ١٩١٦م.

محبوبتى م:

صباح الأحد، أول عودة لكِ فى نيوآرك Newark.

لم تستيقظى بعد، بسبب فروق التوقيت.

بوسعى تخيل المنزل الهادئ مع تسلل أول شعاعٍ رمادى للصباح.

سرعان ما ستذهبين إلى الكنيسة؛ لتجلسى على مقعدك الحديث، من خشب الماهوجنى mahogany.

ليس ثمة الكثير عن يوم الأحد فى جونا هنا، بوسع المرء أن يحبسه فى قلبه فحسب.

لسوف أُشاطرك صدى يوم أحدِك بتذكرك.

أنا الآن في.. اللحظة الراهنة، فى انتظار الأوامر، للخروج مع الكولونيل وانتقاء أماكن المدافع الجديدة.

تعلمين أن سعادتى الغامرة ورضاى، حيث أقوم لأول مرةٍ بعملٍ كبير كافٍ لأن يُنسينى كل إخفاقاتى واحتقارى لذاتى.

أعلم أن بوسعى أخيرًا أن أتدبر أمرى، إلى الحد الذى..
طالما كنت أطمح إليه.

لذا؛ لا تقلقوا أنفسكم بشأن أية مشقة تفسرونها فى خطاباتى؛ حيث إن الحرمان يُكافئ بالشعور الجامح نحو العظمة التى يمتلكها المرء.

أخيرًا.. أضحت الأشياء أكثر دفئًا- نوعًا ما- من حولنا.

بندقيةٌ إلى يميننا وأُخرى لمؤخرتناءِ وأُخرى من أمامنا، جميعهن ضربن ضرباتٍ مباشرة.

لدينا بعض الشباب، يتناولون وجباتهم معنا الآن؛ حيث ضُرب طعامهم واحترق.

ثمة ضابط معى دُفع إلى مسافة ٥٣ قدمًا فى الهواء، بينا كنت أرقب، التقط أنفاسه وعزم على الاستمرار، على الرغم من أن وجهه أضحى كومةً من الكدمات!

لقد دخلت إلى أكبر معركةٍ فى الحراب كلها وفى اللحظة التى خرجت فيها من هنا.

لقد كانت أُولى رحلاتى للجبهة الأمامية فى الحرب، مليئةً بالموتى.

هل سمعت خطبة لويد جورج(١٩) Lloyd George العظيمة؟

إنني معه بكل كياني، ليس مهماً ما سندفعه من ثمن، وكم منا سوف يُضحِّي بحياته، يجب أن تنتهى هذه الحرب، حيث إنها ربما تكون للأبد، إذا ما رأى الشياطين الذين يدبرون لها نتيجةً سحيقةً فحسب لصنع أيديهم.

امنحيهم يوماً فى الخنادق تحت قذف القنابل حين لا تستحق حياتهم شراء خمس دقائق أو احتمال الجراح يوماً عبر الريف المُعذّب.

أو يومًا واحدًا فى قطار الصليب الأحمر، ليس بإمكان أحد أن يتخيل الخراب الفظيع وغياب الإيمان المسيحى فى هذه الحرب على الطبيعة البشرية.

الطريق الوحيد لجعل هذه الحرب مقدسة، يجعلها نافذة بحيث لا تنتهي.

لسوف يستيقظ أبى الآن..

كم يبدو البيت القديم مألوفًا لى!

بوسعى تخيل مكان كل صورة.

هل تقومين بتشغيل الفيكترولا victrola هذه الأيام؟

أراهن أنكِ تعزفين مقطوعة أولاد فى الزى العسكرى..

أولاد يرتدون الأزرق.

أرجــو أن ترسلى إلى أىّ شـىء يمكن أن يتــخــيله قلبك الطيب كى آكله أو أُدخنه.

أخيراً.. عدتُ من الجبهة الأمامية بخير وأبليت بلاءً حسنًا فى إطلاق النار.

وصلتنى خطاباتك وسط قـذف القنابل، قـرأتـهـا وسط ضـباب دخان لندن، كنتُ مـرتديًا خـوذتى ذات المظلة الخلفية المصنوعة من الصليب، أثناء استـراحـتى من إلقـاء الأوامـر لفصيلتى عبر مُكبر الصوت.

لا تظنى أنى لستُ سعيداً.

إنى مـبتـهج كما لو أننى لاعب كريكيت وأؤدى كما أتمنى، إن عليّ ذلك.

ثمـة شـىء خـارق مـرتبط بارتيـاد المخـاطر والمضى بهـا بعيداً، لاسيما حين تعلمين أنك تُسهمين بمشـاركتك فى نتيجة بعيدة المرمى.

إن أُمي.. أُم جندى الآن، وأُمـهـات الجنود لا يسـتلقين يقظات ليـلاً وهن يتـخـيلن، إنهن يُصلـين لأبنائهن فـحـسب ويتركن كل شىء لمشيئة الله.

على يقينٍ أنا، بأنك تُفـضلين لو أننـى مت على ألا أُمـثل الرجل على أكمل وجه، لا يهم حين تموتين، كيف تموتين، لكن

ما أنويه هو العودة إلى نيوآرك، وأن أجعل البيت فوّاحًا بالتبغ والدخان قبل أن أفعل.

إننا فى حركةٍ دائبةٍ الآن، وقد تركنا ب "B" جريحًا وأصبحنا أقل قوةً بدونه.

علاوةً على أننا نساعد فصيلة بطارياتٍ أُخرى فقدت ضابطين.

كما رأيت فى الصحف، نجحنا فى النهاية أن نجعل الألمان يفرون.

لقد مر بي، ثلاثمائة ألمانى فى ذلك اليوم، جاءوا فى غير حراسةٍ لتسليم أنفسهم كأسرى.

كانوا أقذر كومةٍ وقعت عليها عيناك، وبدا كما لو أنهم لم يأكلوا منذ شهور.

وددت لو أرسلت إليكِ بعض التذكارات من فرنسا.

لكن ليس بوسعنا إرسالها إلى خارج فرنسا.

أكتب إليك على أضواء الشموع، وعلى دوى القنابل، يقفز كل شيء.

أرتدى الآن القلادة والصليب طيلة الوقت.

المخلص مع كل الحب

كون

الرسالة الثامنة عشرة

الثالث عشر من أكتوبر عام ١٩١٦م.

أحبتى:

إن ما لدى من الوقت، يكفى فحسب لأن أكتب إليكم وأؤكد لكم أننى خير.

نعيش الآن فى الخنادق، بحوزتى منامتى على محفةٍ أضعها؛ لأحفظها جافةً.

قبل أن يصلكم هذا الخطاب نتوقع أن نحصل على راحةٍ؛ حيث عملنا بجد لوقتٍ طويل غير عادى.

كم أتمنى لو أخبرتكم أشياء عدة كبيرة وبهيةً فى عقلى.. ولكنه الرقيب!

قضيت يومًا مثيرًا بالأمس، تقدمت للأمام على الجبهة؛ حيث جاءت الأنباء بأن ضابطًا ما زال بعيدًا، قد جُرح وأحاطت به نيران العدو الكثيفة.

كان بمعيتى فحسب صبى - متلقى التليفونات- لكننا عثرنا على محفةٍ، فتقدمنا للأمام وأخرجناه.

كانت الأرض ترتج صعوداً وهبوطًا تمامًا كحبةِ ذرةٍ فى مقلاة.

لسوء الحظ.. أن الشاب المسكين، مات فى الطريق.

مر المساء، قبل أن نتناول عشاءنا أنا والصبى، وقد أخبرنى بما ينوى فعله فى العطلة المقبلة.

الرسالة التاسعة عشرة

الرابع عشر من أكتوبر ١٩١٦م.

أُمي الحبيبة..

بخيرٍ ما أزال، وبصحةٍ جيدة، مررت اليوم بأفضل تجربةٍ فى حياتى، -لقد وقعت تحت قذف المدفعية الألمانية، وكان عليّ أن أرقد على بطنى طيلة ساعتين فى خندق مع القنابل، على بعد خمس ياردات منى، ولم أتحرك.

تعلمين كم اعتدت أن أتساءل.. ما الذى بوسعى فعله فى مثل هذه الظروف.

حسنًا.. لقد ضحكتُ، كل ما أستطيع أن أُفكر فيه.. البشر المُنعمين السائرين فى أفينيو الخامس(٢٠) Fifth Avenue، وبالمثل الزحام المُنعم الذى يحتسى الشاى فى والدورف(٢١) Waldorf .

كان من المضحك أننى أنا الذى كان من الممكن أن أكون واحدًا منهم ، ها أنذا راقدٌ هنا بلا غذاء، حيث أصابنى الصمم لوهلةٍ إثر الارتجاجات.

هذه القصيدة، فى خاطرى تجرى:
آه.. كى تأتى إلى البيت مرةً أُخرى
حين تهبط العتمة
كيما ترى غرفة الأطفال مضاءةً
ومائدتهم قد مُدت
تصيح الأصوات التوّاقة
أُمي.. أُمي.. أُمي!
كان الرضيع يُغالب النوم
كان عليه أن ينام.
أليس ذلك أفضل من الجلوس فى حفرة الألمان؟

المحب المخلص

كون

الرسالة العشرون

الخامس عشر من أكتوبر ١٩١٦م.

أعزائى:

مازلنا نتحرك، لكننا نأمل الانتقالَ إلى الربوع الشتائية.

لقد تذوقنا طعم الطين، وإنّا- على قلقٍ - نرتقب الانتقال إلى ربوعٍ أفضل.

لقد أخبرتكم أن و. سى O.C جُرح فى قدمه، وجُرح قائد قسمنا الأيمن فى كتفه اليُمنى قبل ذلك بقليل.

إن أيادينا قصيرة بعض الشىء، ولدينا عمل كثير.

ثمة لحظات مضيئة لدىّ، حين تُضىء الأحداث الأخيرة ذاتها، فيما يبدو أنها وجهة نظرهم الحقة.

كنتُ ضابط المراقبة الأمامية فى أحد ميادين المعركة الحديثة ذات ليلة، وكان علىّ أن أرقب الجبهة طيلة الليل من أجل الإشارات، وما إلى ذلك.

ثمة قمر أبيض تام راح يُبحر بهدوء فوق رأسي، وحينما كنت أنظر إليه كنت أتخيلنى عدتُ إلى موكب الكآبة القديم

لخريف الغابات.. حيث كانت أوراق الأشجار حمراء، لا كدماء البشر.

عادت ذاكرتي إلى أيامٍ عدة مضت، وعلى الأخص منذ ثلاثة أعوام.

شابًا كنتُ أبدو على نحوٍ عظيمٍ حينئذٍ، وعلى نحوٍ ارتدادي، كنت لوهلة قصيرةٍ، مفعمًا بالندم على أشياء كثيرةٍ أضعتها.

ثم نظرت إلى ميدان المعركة بأدواته المتناثرة وبنادقه المتكسرة.

بدا أن شيئًا لا يهم.

مر فأرٌ.. ثم تبعته فئران عدة.

وقفت هناك شاعراً بالعزلة عن كل شيء، شعوراً فوق العادة.

لسوف تبتسمون، كتبت روايةً.. أوه لو أنني عدتُ.. كم سأكتب على نحوٍ مختلفٍ!

حين تواجهون الأسوأ في أشكالٍ مختلفةٍ، تفقدون خوفكم وتصلون إلى السلام.

ثمة نُبل عظيم في هذه الشجاعة والحزن.

إن أرواح الناس لتسمو فوق المأساة، إن عليهم ذلك كيما يحيون.

حين ترون كيف تكون أجساد الرجال رخيصةً، لا يمكنكم المساعدة، لكنكم تدركون أن الجسد هو أقل جزءٍ فى شخصية الإنسان.

بوسعكم التوقف عن عصبيتكم حين يأتيكم هذا الخطاب؛ حيث على الأغلب سأكون فى منطقةٍ آمنة.

أدينا أكثر مما ينبغي، ويجب أن ننسحب قريبًا.

بالكاد توجد كتيبة بطارية مثلنا تستحق دَستة من ميدالية جائزة الخدمة المتميزة (٢٢) D.S.O، وربما ميداليتين من صليب الملكة فيكتوريا(٢٣) V.C.

إنها الرابعة والنصف الآن، ستكونون فى الكنيسة وآمل أن تُعِدوا لى الورد وتنتظروا عودتى، ولسوف تذهبون إلى الكنيسة بأكبر باقة من الزهور زينت صدر امرأة.

إنى أتساءل.. متى يحدث هذا؟

لدينا أكوام من الفكاهة ها هنا.

كان يجب أن ترونى هذا الصباح جالسًا فوق مقعد المدفعية، بينما يقوم جندى مراسلتى بقص شعرى.

ثمـة كـيس من الرمل ممـدد على كـتـفـى بدلًا من المنشـفـة، وحولى كتيبة المدفعية وأقوم بنصحهم.

لا أدرى كـيـف أبدو؛ حـيث إنـى لم آبه بـالنظر إلى مـرآة حلاقتى.

حظ طيب لنا جميعاً
كون

الرسالة الحادية والعشرون

١٨ أكتوبر ١٩١٦م.

غاليتى م:

نزلت إلى خطوط القتال اليوم، وسوف أعود غداً.

أنا جالس فى حجرة طباشيريةٍ عميقة.

إنها العاشرة مساءً.

أوقدت ناراً بعد قيامى بشق الأخشاب بسونكى البندقية.

وصلنى خطابك من مونتريال بالأمس، لقد جاءت الخطابات فى عربة المياه،

وجاءت بعد أن يئسنا جميعاً من مجىء البريد.

ساد صمتٌ رائع حين عاد كل منا إلى بيته للحظةٍ ومعظم الشبان قابلوا فتياتهم.

لقد وقعنا جميعاً فى عادة الغناء.

أغنية أورشليم الذهبية هى المفضلة لدينا، ونحن ننتظر الأخطار، غنينا جميع الأغانى المفضلة لدينا ومنها أُغنية "آدم المسن المسكين كان والدى".

إن أعظم أغانينا المفضلة تلك التى ترمز للآمال التى فى كثيرٍ من القلوب، فى أعظم معركةٍ فى التاريخ.

غنيناها تحت دويّ القنابل، كضرب من الصلاة، إنّا نغنيها ونحن نناضل فى زحفنا فى الطين المروع، نغنيها ونحن جلوسٌ إلى شمعةٍ فى خنادق الأسر الألمانية العميقة:

ثمَّ ممر طويل.. طويل

ممرٌ ملتوٍ

فى أرض أحلامي

هناك

حيث تغنى البلابل

وحيث القمر الأبيض يتألق

ثمَّ ليلة طويلة.. طويلة

ونحن فى انتظار

سوف أمشى

إلى أن يحل النهار

ذلك الممر الطويل.. الطويل معك.

يجب أن تحظى بهذه الأغنية، وسوف تغنينها.. حين أكتبها لكِ.

لا...، لا أعرف ما الذى أطلبه منكِ فى عيد الميلاد، إن لم يكن فطير البرقوق وصندوق من الحلوى طعامًا مفاجئاً.

إذا لم تُمانعى فى هذا الاقتراحِ، لن أُمانع فى صندوق عيد الميلاد فى التو – صندوق حلوى مُربع –.

أرتدى القلادة والصليب ورابطة العنق طيلة الوقت، تعويذةً ضد الخطر.

إنهم يهبوننى شعوراً بأن يداً محبةً تذهب معى أنَّى ذهبتُ.

وفقك الله
المخلص إلىَ الأبد
كون

الرسالة الثانية والعشرون

الثالث والعشرون من أكتوبر ١٩١٦م.

أعزائى:

تعلمون أننى فى حربٍ مذ غادرت إنجلترا، ومازلت.

عشت فى مساكن مرتجلة ومختلفة، وأكتب الآن من حفرةٍ على عمق ثمانية أقدام تحت الأرض، مغطاة بالحديد المطلى وأكياس الرمال.

لقد أرحنا أنفسنا للغاية، والنار مشتعلة - إننى أُصوب- نحن مرتاحون إلى أن يهطل المطر.

عليّ أن أقول، حين يبلغ الماء مداه.

أمضينا يومين من اختراق المطر والضباب، بلغ الوحل فى الخنادق ركبتيّ.

لكم أن تتخيلوا بهجة الخوض فى هذه الأنفاق تحت قذف القنابل.

الجوارب السميكة الجيدة لا تُقدر بثمن.

ستسعدون إذا ما علمتم بأننى أصبحت قائد الفصيلة اليمنى منذ يومين، لقد كانت ترقيةً سريعةً تماماً.

إنها تعنى مزيداً من العمل ومزيداً من المسئولية، لكنها منحتنى اتصالاً بالرجال الذين أُحبهم.

لست أعلم متى سأرحل، ليس قبل شهرين على أية حال.

سيكون ضرباً من الانشقاق إذا ما أخذت عهداً عليكم بالذهاب إلى إنجلترا خلال تسعة أيام، على وجه السرعة.

أُخطط لكتابة روايات وأتساءل إذا ما كنت سأكتبها كما أراها.

إن خيالى زاخر بالأعاجيب الحقيقية إلى حدٍ كبير.

أعتقد بأننى تغيرت نفسيًا وأصبحت أكثر صرامةً- تجردت من ليونتى- ربما أصبحت أكثر قسوةً، لا يمكننى أن أجزم أنه يجب أن أكون روائيًا غير معتدلٍ.

مر وقت طويل مذ تصرفت على سجيتي، أو قابلت أحداً على علاقةٍ بالفن.

لكن لدى من ثقتى بنفسى ما يكفى لأهتم بكتابى.

بالمناسبة، حين نكون فى الخارج على الجبهة وتريدنا المجموعة أن ندخل فإنهم يخبروننا بكلمة السر عبر الهاتف "عبيد الحرية" المعنى الذى نعيه جميعاً.

دائماً ما أُفكر فيكم، وإنى لأبتهل إلى الله أن يقترب لقاؤنا مرةً أُخرى.

كون

الرسالة الثالثة والعشرون

أُسرتى الغالية:

منشغلاً كنتُ، طيلة اليوم فى تسجيل مدفعيتنا.

ثمَّ قليل من الوقت للراحة، من المفترض أن ننهى الحرب قبل الربيع.

التحق بكتيبتنا "كتيبة البطارية" ضابطان من إنجلترا مما جعل العمل أخف وطأةً.

جاءنى أحدهما بنبإٍ أن د D أحد الضابطين اللذين عبرا معى من إنجلترا وعبر فرنسا؛ بحثًا عن فصيلتنا العسكرية، قد مات بالفعل.

كان رفيقًا ممتازًا فوق كل حد، وإنى لجد حزين.

أصابته القنابل فى رأسه وفى ساقيه.

مازلت أحيا فى تجويفٍ رمليٍ، محتميًا من البنادق على عمق ثمانية أقدام تحت الأرض.

لدى كيس للنوم مفروش بريش البط، وهو موضوع على نقّالة خشبية توضع كسطح للخندق.

أما الوجبات.. فحين لا يكون هناك حاجز على الطريق، إننا نؤدى على خير وجه حيث نشترك فى وجبةٍ، ونُعيد ضابطًا إلى خطوط نقل العربات ليشترى حاجياتنا.

حين نتحرك إلى الأمام فى موقعٍ جديد، فإنّا لا نذهب بعيدًا مع ذلك، لأن الطرق تُبنى فى الزحام.

مُعظم مأكولاتنا من المعلبات، ولا أُريد رؤية سمك السلمون مرةً أُخرى، حين تنتهى الحرب.

لديّ خادم شخصى وسائس خيلٍ وجوادان، لكننى لم أمتط جوادًا منذ سبعة أسابيع؛ بسبب الحرب.

لم نكن نفعل شيئًا سوى إطلاق النار وعشنا ساعاتٍ عدة فى الخنادق.

إن رجال المدفعية الذين فى الخنادق أكثر من جنود المشاة الذين يقاتلون بالبنادق.

الشىء الوحيد الذى لا يفعله رجل المدفعية هو أن يتخطى السور فى هجوم.

وقد فعلها أحد شبابنا ذات يومٍ وقذف الألمان بقالب من الشوكولاتة كان فى يده، وبيده الأخرى مسدس.

أؤمن أنه أقام تقليدًا سوف يُقلَّد.

لقد رأيت المشاة يقفزون من خنادقهم ثلاث مراتٍ خلال تجربتى العسكرية، إنه مشهد لا يُنسى!

كانت هنالك آلة مدفعية ورائى ذات مرة، وأرسلوا رسالةً طالبين إلى أن أنبطح أرضًا وأتخذ ساترًا.

كان ذلك مُحالاً؛ حيث كنت أقوم بالمراقبة؛ لأجل فرقتي؛ لذا فقد رقدت على السور إلى أن بدأ الرصاص ينهمر بغزارةٍ بالقرب منى، فلم أشعر بارتياحٍ، ثم تفاديته ودخلت خندقًا ونيران المدفعية الألمانية تتدفق من حولى.

ورأيت أكثر مشاهد الهجوم الحديثة روعةً، كان ذلك منذ وقتٍ مضى؛ فلا تقلقوا إذن.

هل ذكرت لكم شراب الروم Rum؟

إنى لم أعرفه من قبل، حتى جئت إلى هنا.

إنه ينفعنا حين نبتل.

إنه الشىء الوحيد الذى يحفظ الرجل على قيد الحياة، فى الشتاء.

بوسعك أن تنام إذا ما تناولت جرعةً منه، ولا تُصاب ببردٍ قط إذا ما فعلت.

غنينا ليلاً .. قرب النار، على عمق ثماني أقدام تحت الأرض، غنينا كل الأغاني الغالية على قلوبنا.

صنعنا نوعًا من المرح، غنينا كلمينتينا Clementina وأُغنية الدرب الطويل الطويل The Long، Long Trail وثلاثة فئران عمياء وأُغنية منذ زمنٍ بعيدٍ.. بعيد وصخر من الأزمنة.

إنها جميعًا ترنيمات مفضلة جدًا.

لا تقلقوا بشأني؛ إن صلواتكم تنسج من حولي ساترًا دفاعيًا.

المخلص مع حبٍ أكبر من أن أكتبه

كون

الرسالة الرابعة والعشرون

١٣ أكتوبر ١٩١٦م.

أغلى الناس:

ها أنذا مرةً أُخرى أقوم بمهمة إطلاق النار ليلاً، وهكذا أحصل على فرصة الكتابة إليكم.

وصلتني رسائل منكم جميعًا، جميعها يستحق الرد، لكن لدى وقت قليل للكتابة.

لدينا طقس سيئ للغاية، غرقت بيوتنا الصغيرة تحت الأرض، تجرى الأنهار عبر أسرَّتنا.

ارتفع الوحل مرةً أُخرى، إلى ركبنا و دخل إلى مأكولاتنا.

الغريب أننا بصحة جيدة!

ربما هو الهواء الطلق.

العيب الوحيد أنه نادرًا ما تُتاح لنا فرصةٌ لنغتسل أو نغسل ملابسنا.

إن أفكاركم عن الجيش وأزراره اللامعة لمخطئة تمامًا؛ إننا لنبدو ثملين وغير منظمين، كمن أمضى الليل فى ترعةٍ، ولدينا ذاتُ الغريزة للحرب.

لقد سمعت لهجة أهل سوفولك (٢٤) Suffolk فى الخنادق، وحديثًا فكهًا مع شابٍ شاطرنى العديد من ذكرياتى، كانت تلك أولى رحلاته فى الخنادق وكان الألمان يشنون هجومًا عنيفًا بالقنابل، لكنه لم يبد متضايقًا على الإطلاق!

مازلنا أشداء فى هذا وتخلينا عن كل أفكار الراحة، الفكرة الوحيدة التى واتتنا.. أننا سنرتاح حين تجف الخنادق.

تقولون كم مرةً تخبرون أنفسكم أن ذات القمر يطل عليّ، إنه يُطل ولكن فى مشهدٍ كم يبدو مختلفًا!

إننا نتقدم على ميادين معارك قديمة، كل شىء ذابلٌ أصابه اللغم.

لو بدأتم الحفر، ستكشفون عن أشياء تُركت.

لو كانت هناك أراضٍ للخرافة، فمن المؤكد أن الأرض التى أنا بها هى أرض الأشباح.

إن المرء لا يفكر بهذا قط.

إن لدى إحساسًا متزايدًا أن ابتهالاتنا تحميني، أقول هذا لننسى حين أقع فى خطر.

أجلس ها هنا مرتديًا سترةً قديمةً من الصوف، وسراويل موحلةً، إنها الصورة المضادة جدًا لديكم عن الجندى.

إنى أتخيل تلقيكم لهذا.

اهتمامنا الرئيس ها هنا متطلباتنا من الحليب والمربى.

جاء البريد من عربات الخطوط، تبدو أماكن شراء الحليب والمربى وكأنها حكايةٌ خرافيةٌ!

انظروا كم أصبحنا بسطاء!

أكره أن أتخيل منزلنا الصغير الفقير فى كوتيناى -Koo tenay فارغًا.

قضينا تلك الأوقات الطيبة هناك، منذ عام.

إن لديهم أغنية هنا لفرقة الأطفال اسمها "بعد أن تنتهى الحرب" تحكى عن الأوقات الطيبة التى سنقضيها بعد الحرب.

أبتدع كل ليلةٍ قصةً جديدةً لاحتفالى بهذا الحدث، تمامًا كما لو كنت طفلاً، قبيل أن أنام فحسب، لا يبدو أن الحرب ستنتهى.

دائمًا ما أتلقى خطاباتٍ من الأولاد على نحوٍ منتظم.

ثمة فرصة في العام الجديد أن أغادر إلى لندن، وألتقى بهم قبل أن ينطلقوا.

دائمًا ما أتصوركم ورؤوسكم عالية فى السماء.

سعيدٌ بأن أفكر فيكم وأنتم فخورون، بسبب الألم الذى سببته لكم.

لسوف أُفكر فيكم ثانية فى عيد ميلاد أبى.

لا أظن بأنه سيكون أسوأ ما يتذكره.

ربما كان ذلك لو أقمنا معه - نحن الثلاثة أولاد- فلو أنى كنت أبًا لفضلتُ أن يصبح أبنائى رجالاً.

يا للرفاق الطيبين الذين كانوا دومًا معنا!

ويا للسنوات الطويلة من الأوقات السعيدة التى تنساب من كل طريق بذاكرتى عن ولدٍ صغير يرتدى زى بحارٍ إلى كوتيناى.

لقد نمت فى غمرة كلِ هذا.

علىّ الآن أن أخرج وأبدأ إطلاق النار.

مع كثير من الحب
المخلص
كون

الرسالة الخامسة والعشرون

الأول من نوفمبر ١٩١٦م.

غاليتى م:

سلام بعد العاصفة!

لم يصلنى خطابك عن طريق عربات نقل الماء هذا المساء، ولكن عن طريق جندى مراسلة، لقد أوقف الوحل عجلة السير.

كنت جالساً أقرأ خطابك فحسب، حين بدأ هجوم الفريتز(٢٥) Fritz يلفت انتباهنا.

وضعت خطابك، والتقطت خوذتى المصنوعة من الصلب، واندفعت لأرى أين تهبط القنابل ثم نقلت جنودى إلى مكان أكثر أمنًا.

تُرى هل أخبرتك أننى أصبحت قائد القسم الأيمن، بعد حوالى نصف ساعةٍ عدت وجلست قرب نار أُضرمت فى صناديق ذخيرة، فى فرن استعرناها من كوخٍ تم تدميره.

يؤسفنى دومًا أن رسائلى تحوى القليل من الأنباء، وليست شيقةً إلى حدٍ بعيد.

هذا الشيء جد كبير ومرعب، لا يتحمله الورق.

قرأت الصحف مع غناء الجنود وسخافات أُخرى.

إنهم يصفوننا كما لو كنا بلهاء رُعناء، بدلاً من وصفنا كرجال يدركون الخطر تمامًا، ومن يكدّون من أجل الواجب.

رأيت العديد من الرجال الطيبين قُتلوا فى التو- جميعنا رأينا- إن قصة غناء الجندى تجعلنا نبتسم.

لدينا مهمة عظيمة؛ نعلم أن علينا أن نواصل مهما حدث، لذا فقد ارتدينا تقطيبة عابسة وانطلقنا لمهمتنا.

ثمَّ بطولة فى مواقف الرجال ها هنا، أبعد كثيرًا مما يرسم هؤلاء الصحفيون تحت المصابيح للعامة.

إنها ليست حكاية غناء أن نستمر فى إطلاق النار حين ترتفع طلقات المدافع فى الدخان أمام ناظريك.

أى انتهاكٍ مرعب للقدسية هى الحرب!

تخرجين فى أسبوعٍ ما وتنظرين عبر نظارتيك إلى الكنيسة الريفية الخضراء المبتسمة، والقرى فى حضن الغابات، والطرق البيضاء تعدو عبر البساط الأخضر، الأسبوع القادم لن تري شيئًا لكن دمارًا، وقد ضج الريف بالحفر إثر قذف القنابل.

تجـرى الآلة طيلة الليل مـثل آلات التـشـبـيت عندمـا تُبنى ناطحات سحاب نيويورك.

فجأةً.. ليلاً سيبدأ الهجوم بالقنابل وتصير السماء بيضاء إثر إشارات الصواريخ.

تصدر الأوامر للمدفعية بالانتقام، وتبدأ مدافعك تدهس الأرض مـثل الخـيـول؛ فى الظلام فى كل اتجـاه.. بوسـعك رؤيتهم يطلقون النيران.

ثم تسـود السكينة مـرةً أخـرى، بينمـا يُحـصـى الموت حصادَه.

تخفت الصواريخ البيضـاء وتضـحى أقل هوسًا، وتـسـود الظلمة ساعةً.

ضابط مراسلتى يتسلى بالغناء،

"احزم متاعبك

فى حقيبة متاعك

و ابتسم

ابتسم

ابتسم"

هنالك الكثيـر فى فلسـفتـه، من الأفـضل الاسـتـمرار فى الابتسـام حـتى حين يرقد من كان ذات مرةٍ صديقك، ساكنًا فى بطانيته على نقّالة..!

الفكرة السامية العظيمة أننا أثبتنا لأنفسنا أننا رجال.

نرسِّخ قاعدةً في بيوتنا، لا نتبعها في حياتنا قط، كان يجب ألا نسعد بذلك، لكنا كنا سعداء.

أدركنا أن العالم سيتذكرنا وأنِ أحبابنا، بدلاً من أن يكونوا سيفخرون بنا.

ليس بوسعنا أن نخمن ما سيقوله لنا الله، لكنه لن يكون قاسيًا مع أناسٍ أدَّوا واجبهم.

أعتقد أن جميعنا يشعر أن الإخفاقات السخيفة الماضية قد غسلتها التضحية النهائية.

حين اعتادت الصغيرة "م" أن تتلو "هنا يتنفس رجل ذو روحٍ ميتة، لم يقل لنفسه قط، هذا ملكى وأرض وطني" لم أُفكر قط أن لدى الفرصة التى أُعطيتها الآن.

أشعر بشكر عظيم وقور أن لدى فكرةً تستحق.

أضحت الحياة فجأةً مؤثرةً وجديرةً لعدم اكتراثها بالموت.

بالمناسبة.. هذا الرجل برنسيتون Princeton الذى ذكرته منذ زمن طويلٍ.. قد قتل على مسافة أربعين ياردة منى فى رحلتى الأولى داخل الخنادق.

المحتمل أن جنرال ماك . M C وصديق آخر عرفوا ذلك قبل الآن.

لقد كان أول رجلٍ ينتهى نهايةً فجائيةً.

أرتدى قفازيك وأجدهما مريحين على نحوٍ عظيم.

أتطلع إلى مزيد من الجوارب منكِ، لو أن إحدى صديقاتك تصنع أشياءً للجنود أتمنى أن تحصلى عليها وترسليها إلى فرقة المدفعية.

ولسوف يتقبلها الرجال بكل ارتياح.

وددت لو جئت معك إلى الميوزيك ماستر The Music Master.

أتساءل.. كم من الوقت سننتظر حتى نؤدى كل هذه الأشياء العائلية الجميلة معًا، مرةً أُخرى.

إلى اللقاء عزيزتى م.

إننى أعيش من أجل الخطابات العائلية، ونادراً ما يصيبنى الإحباط.

وفقك الله
وإليكم جميعاً
محبتى
كون

الرسالة السادسة والعشرون

الرابع من نوفمبر ١٩١٦م.

أُمي الغالية:

استيقظت هذا الصباح فى الخندق، حيث كنتُ نائمًا، على وصول أروع طردٍ بريدى.

كان صباحًا من صباحات عيد الميلاد، بالنسبة لي، أشعل خادمى المصباح البترولى فأضحى المكان مبهجًا.

باديءَ ذى بدءٍ، دخل شىء ضخم تحول إلى موقد أرسله س .C

ثم حقيبة رملية تحوى كل هداياكِ.

ربما تُراهنين أننى أتجهز لذلك أولاً، ومع كل أُنشوطةٍ أحلها أتذكر الأيدى الحبيبة التى عقدتها.

ماضٍ أنا من الآن إلى وردية مراقبة لمدة أربع وعشرين ساعة، ولسوف أتناول اللبن المجفف وقطع الشوكولاته كمشروب ساخن.

إن تَسلُّمى للأشياء التى حزمتها يداك يجعلك تبدين قريبةً جدًا إلى.

سآخذ معي شموعًا حين أمضي للأمام، وسآخذ نسخةً من آن فيرونيكا(٢٦) Anne Veronica، فإذا ما أُتيحت ليّ الفرصة فسيقضي ذلك على شعوري بالوقت.

دائمًا حينما أكتب إليك تنساب نثريات على خاطري، ومضات من لونٍ محلي.

منذ شهورٍ، وبعد هجومٍ، التقيت متجولاً منفردًا، يتجول عبر الميدان الذي أصابته القنابل، راقبته واعتقدت أن شيئًا ما كان خاطئًا بسبب تقدمه الذي لا هدف له، وحين تحدثت إليه نظر إليّ نظرةً ضبابيةً وقال:

– أموات طريق ضوء القمر.

وظل يردد هذه العبارة، وهذا كل ما استطاع أحدٌ الحصول منه عليه.

ربما كان الأموات وطريق مقمر هو آخر ما رآه، قبيل أن يصيبه الجنون!

ثمة شيء آخر مؤثر منذ يومين، وصل ميجور بعد أن سافر خمسين ميلاً بواسطة لوريات ووسائل نقلٍ أُخرى أمكنه العثور عليها في الطريق.

لقد ترك وحدته ليلقي نظرةً على خندق الخط الأمامي حيث دُفن ولده.

لقد قُتل الابن هناك منذ بضعة أيامٍ أثناء تسلق السور.

أقنعته ألا يذهب بمفرده، وأن تلك البقعة ليست آمنة على أية حال.

لقد قَبِلَ فى نهاية الأمر أن أصحبه إلى نقطةٍ يمكنه من خلالها رؤية الأرض التى هاجمها ابنه وقاد رجاله إليها.

كانت الشمس تغرق من خلفنا.

وقف منتصبًا هناك، يرمقنى عبر نظارتَىّ ، وحينئذٍ نسينى تمامًا وراح يتحدث إلى ابنه فى كلمات طفولية محببة.

"ذهب غربًا" هكذا يُسمون الموت هنا؛ نادرًا ما نقول بأن رجلاً قد مات.

اكتشفت بعد ذلك أن أُم الولد هى التى كان الميجور يفكر فيها؛ حيث أخذ عهدًا على نفسه بزيارة القبر فى الخط الأمامى.

لكنما هنالك أشياء أكثر سعادةً.

على سبيل المثال، عليكِ أن تستمعى إلينا ونحن نغنى فى حُفرنا، كل نغمة تعلمناها، كَما أعتقد.

"خيوط الفضة بين الذهب" و "فى الغسق" و "نجم بيت لحم" و "أسمعك تنادينني" و "مبعثر مع كل من يعمل إلا الأب" و "آدم المسكين المسن" إلى آخره.

وددت لو عرفت- فى الوقت المناسب- متى سأغادر إليك لألتقى بك.

سوف أقضى أيامى التسعة كأروع ما أتخيل، لن آكل شيئًا من المعلبات، لن أخرج من الفِراش حتى أشعر أننى أميل إلى ذلك.

إذا ما كنتِ هناك!

أحلام وهذيان!

وفقكم الله جميعًا وحفظنا قريبين وآمنين وإن غِبنا.

حيًا أو "ذهبتُ غربًا" سوف لا أبتعد عنكم، ربما تعتمدون على ذلك، ولسوف آمل دومًا أن تظلوا شجعاناً سعداء.

إنهم مقامرو لعبة صيد كبيرة يقحمون أنفسهم ضد كل روعة الموت.

أرجوكِ، أرجوكِ، أن تكتبى دومًا كى لا أفتقد خطاباتك فى عيد الميلاد.

المحب

كون

الرسالة السابعة والعشرون

السادس من نوفمبر ١٩١٦م.

أحبتي:

لقد كان يومًا رائعًا، أكاد لا أدرى من أين أبدأ.

نزلت إلى الوحل فى الليلة الفائتة، حيث كنت أقوم بالمراقبة.

قضيت الليل فى حفرةٍ فى جانب الخندق، وقد شكّل أحد الموتى الألمان جزءاً من سطح الحفرة.

جلستُ هناك مستعيداً أشياء كثيرة- لحظات حياتى المذهلة حين تأثرت بشهرتى أول مرة- وكانت قدماى باردتين للغاية حتى إننى لم أعد أشعر بهما؛ لذا فكرت بعمقٍ فى كل الأشياء السارة التى حدثت فى الماضي.

حينئذٍ - كما قلت- عدت إلى موضعى فى المدفعية كى أعلم أن لدىّ إجازةً فى الخطوط الخلفية.

لا تدركون ما الذى يعنيه هذا لى!

يوم فى الريف الأخضر، يوم حيث لا قذف قنابل، وحيث لا تبدو هناك جيفٌ فى ممشاك.

لم أُغادر المدفعية طيلة شهرين سوى لأتقدم، ولم أنتقل من تحت قذف القنابل قط.

كانت الأرض ترتج تحتى طيلة الليل إثر القذائف وأنا نائمٌ، والآن بعد مرور شهرين أعود إلى الطبيعة القياسية.

سبب هذه المزية أن السلطات أجزمت أن الوقت قد حان لأنال حمَّامًا.

لذا نمت بملابسى والماء كفيل بغسل أى شىء إلا الوجه والأيدي، على الأغلب كانوا مُحقين بشأن حالتي.

وهكذا.. مع أعظم أجازةٍ أطمح إليها فى حياتى، ذهبت إلى حفرة المدفع الفارغة التى أنام فيها ودخلتها.

هذا الصباح جلست فى الخارج مع عسكرى المراسلة، سرنا على أقدامنا عائدين عبر ميدان المعركة الطويل.. الطويل الذى كسبه أولادنا.

عميقًا كان الوحل ويصل إلى مستوى الركبة فى أماكن.

لكننا غُصنا إلى أن وصلنا حيث موضع مدفعيتنا القديم المهجور، حيث كان جوادى بانتظارى.

من هناك ركبت إلى خطوط العربات، تلك كانت أول مرة أمتطى فيها فرسى مذ دخلت إلى المعركة.

بدا رعد القتل المُجنح بعيدًا أكثر خفوتًا، من ورائي.

صار الريف أكثر اخضرارًا، حتى الأشجار، راحت أوراقها تخفق قبالة السماء الرمادية.

رائعًا كان ذلك كالاستيقاظ من كابوسٍ مروعٍ.

كانت فرسى نشيطةً وبدت كأنها تشاطرنى فرحتي؛ حيث راحت تثب بشجاعة.

حينما وصلت إلى خطوط العربات، لم أنتظر؛ كنت تواقًا لرؤية شيء أكثر اخضرارًا وهدوءًا.

حزم سائس خيلى بعض الشوفان وابتعدنا مرةً أُخرى.

أول ما رأيته، هى الحمّامات العسكرية، رقدت فى ماءٍ ساخنٍ طيلة نصف ساعةٍ وقرأت إعلانات كتابي.

وأنا راقدٌ هناك، لأول مرةٍ مذ خرجت، رحت أحصل على نصف وجهة نظرٍ منى، ما تبقى من أنانية المؤلف عاد إلى الحياة، أضحك الآن.

لقد خططت لروايتى التالية، أخططها لأجل صوت الرجال الذين يغنون؛ لأنهم أصبحوا نظيفين لأول مرةٍ بعد شهور.

تركتُ منشفتى وصابونًا مع شرطى من الجيش، إلى الطريق الجانبى، ورحت أثب عبر الطرق الريفية؛ بحثًا عن معظم الطرق المنسية حيث لا يقتل الناسُ بعضهم بعضًا.

هل هذا خيال؟

بدا ذلك لى مختلفًا فى أوجه الرجال الذين قابلتهم، حيث لم يكونوا صيادين ولم يكونوا فرائس.

ثمة أبقار فى الحقول.

فى مكانٍ ما، حيث تقف الأشجار المهذبة كصورة هوبيما(٢٧) Hobbema قبالة السماء، ومجموعة من الضباط يقتفون أثر أرنبٍ برى ويتبعون كلب صيد على ظهور الخيل.

ضللنا الطريق.

جرعة من الأمطار انهمرت علينا، لم نبال، وبينا إلى الوراء ننظر، رأينا أجمل شيء رأيناه، قوس قزح فوق الحقول الخضراء.

كان رومانسياً، كأول قوس قزح رأيناه فى طفولتنا.

رأيت أشياء جميلةً ومألوفةً، طيلة يومي، كما لو أننى للوهلة الأولى أراها.

كنت القديس لازاروس(٢٨) Lazarus نوعًا ما مرتفعًا فوق مقبرته حامداً الله بصوتٍ كهنوتي.

لا تعلمون كم يبدو أنيقًا، حقل تم حرثه!

لاسيما بعد سقوط المطر، إلا إذا خشيتم ألا تروه مرةً أخرى.

جئت إلى قريةٍ رمادية صغيرةٍ، مازال على قيد الحياة مواطنوها، ثم دخلت إلى بوابةٍ وحديقة.

ثمة فلاحة فرنسية فى كوخ، ابتسمت لى وربّتت على شعرى، حيث كان أشعث.

ثرثرنا معًا إلى حدٍ غير متناهٍ .

كانت النتيجة وجبة هائلة من البيض الأومليت Omelette وزجاجة شمبانيا.

ثم جاءت لمسة الشقاوة، سيدة زائرة مع نسخة من "حياة باريسية(٢٩) La vie parisienne التى سرعان ما وهبتها للجندى الإنجليزى.

قرأتها وحلمت بالوقت الذى أمشى فيه إلى قصر الإليزيه مرةً أخرى.

كانت السماء تظلم حين اتجهت عائدًا إلى ضوضاء المعركة.

ثمة بدر أبيض فى سماءٍ من حليب.

فرّت الدراجات البخارية بالقرب مني، وشاحنات ضخمة من شركة جيهوس Jehus لأتوبيسات لندن، وأتوموبيلات تجنح بحدةٍ، تُقِل العاشقين، عائدين إلى البيوت من المتنزهات المبهجة.

على مـهلٍ مـشـيت طويلاً، أتفكر قليلاً، ولكنني كنت سـعيـداً على نحوٍ سام.

أعود الآن إلى خطوط العربات، وغداً أعود إلى المدفعية.

أكتب إليكم أثناء ذلك على ضوء شمعةٍ يذوب.

كم أُحبك أيتها الحياة!

يا لـروعـة الشـيء الكريم الذى بوسـعى أن أصنعـه منك الليلة!

لقد أتتنى رؤيتكم على نحوٍ غريب.

بوسعى الآن أن أكتب، لذا فـربما تمضين منى قـريبًا أو تتغيرين إلى شكلٍ آخر من أشكال الوجود.

علمنى تمرسى أن أخشاه.

أثمة عدمٌ بعد الموت؟

أعتقد بأن هناك تعويضًا لمن فقدوا الحب فى هذه الحياة، والأطفال الصغار الذين كان يجب أن يكونوا لهم، ربما.

اليـوم.. وبعـد أسـابيع عـدة رأيت أطفـالًا صـغـاراً مـرةً أُخرى.

ومع ذلك تُخلِّف هذه الحرب دماراً غريبًا، إذا كـان عليّ أن "أتجه غربًا" لسوف أذهب بكل فخرٍ وهدوء.

رأيت العديد من الرجال، بشجاعةٍ يموتون، لن أفجع إذا ما جاء دوري.

قائمة المسافرين لدى الأب المسن شارون تضم كل ليلةٍ إنجليز وفرنسيين وألماناً.

غداً سأشهد الخضرة ثم بعد ذلك المدافع، لا أدرى إن كنت قادراً على التعبير عن مشاعرى لكم فى خطاباتى.

للرعب سحر مخيف.

مازلت خائفاً إلى الآن، بى مخاوف صغيرة.

أخيراً التقيت الخوف نفسه وربط كبريائى بشجاعة غير متعمدة.

وصلتنى كومةٌ من الرسائل منكم جميعاً.

كم رائعة هي!

الخطاباتَ تُبقى المرء متحضراً.

تأخر الوقتُ، وأنا متعب للغاية.

وفقكم الله.
كون

الرسالة الثامنة والعشرون

الخامس عشر من نوفمبر ١٩١٦م.

أبى العزيز:

مدين لك أنا بخطاب، لكننى نادرًا ما كنت أفرغ.

ليس بوسعك فى برهةٍ واحدة، أن ترسل إلى القيصر Kaiserرسائل من الصلب

وترسل إلى أسرتك رسائل حب.

إنى لأعجب للروح التى تبدونها ثلاثتكم، وروح الفخر التى تحشدونها بهذه الشجاعة!

أعتقد أنه ليس بإمكاننا معرفة مدى قوتنا تمامًا، حتى نجرب أنفسنا.

فى وقتٍ ما، ارتبنا جميعًا فى بطولتنا، أظن بأننا كنا مثالاً لأعمارنا.

كل روايات العشر سنوات الماضية، تمت دراستها بعاطفةٍ وهوىً ذاتى.

اعتدنا أن نتساءل أىَّ نوع من الرجال كان رجال دريك Drake حتى إنه بوسعهم المِزاح بينما هم يموتون!

تعلمنا أن نقارن بيننا وبينهم فى جفائنا.

حسنًا، أدركنا الآن أن ثمة عالمًا يُكتشف، بوسعنا أن نسمو جسديًا فى روحانية القراصنة.

لم يكن الذين أخطئوا فى مثل أعمارنا، لكن العالم الجديد كان ناقصًا.

عالمنا الجديد هو مملكة البطولة، الأبواب التى فُتحت على اتساعها، حتى إن أصغرنا يمكنه أن يلج.

أعرف رجالاً هنا هم المعتمدون فى ألويتهم، وفى أوان السلم هم مُقلقون، فما إن يُعلَن السلام حتى يصيروا مُقلقين مرةً أُخرى.

إنهم جيدون فى هذه اللحظة، يسخرون من الموت ويبتسمون وهم ينازعونه.

أعرف رجلاً لديه سجلٌ من الجرائم.

دائمًا ما كان ثملاً أثناء خدمته، حين كان خارج الحرب.

وفى غضون شهور ربح د. سى. إم(٣٠) D.C.M، لقد خرج وقد غمرته البهجة، هذى البهجة الخاصة تألفت فى تجريد ضابط المناطق الجبلية من تنورته فى ليلة مقمرة؛ لذا حُكم عليه بقضاء عدة أشهرٍ فى السجن، ولكنه طلب أن يُسمح له بالخدمة أثناء مدة العقوبة فى الخنادق.

خرج من عقوبته برتبة رقيب للملك، يعنى ذلك أنه مهما فعل فلن يجرؤ أحد على أن يُحط من قدره.

لقد نال هذا لأنه رفع مدفع الهاون فوق السور حين قُتل جميع رجال الفصيلة، حاملاً إياه خارجًا إلى حفرة قذف القنابل، لقد صد هجوم الهاون، وأنقذ الموقف.

لقد ثمل مرة أُخرى، واختار العودة للخنادق.

كان رأسه هذه المرة متقطع الأنفاس، بينما يقاتل فى مهارة خاصة وبسالة.

ماذا تقولون لمثل هؤلاء الرجال؟

عادةً ما يكونون أوغاداً، لكنما الحرب ترفعهم في عظمة.

بذات الطريقة ترون الرجال الهادئين والرجال الخجولين، والرجال المخنثين غالبًا، يحملون واجباتهم التى ربحت فى. سى(٣١) . V. C فى حروب أخرى.

لا أظن بأن روح الشجاعة تنقرض من السلالة، وطاقة الحب ليست تقل.

ذلك يعنى أن السبب ليس حاضراً.

بالنسبة لي فأنا أحاول أن أُعرب عن مشاعرى، هل أنا ببساطةٍ فاقد الحس؟ أم أننى أُقلد برودة الآخرين؟

وهل سأخشى الحياة مرةً أُخرى، حين تنتهى الحرب؟

ليس ثمة تفسير سوى عبارة الجيش العظيمة "استمر"، نحن نستمر لأننا إن لم نفعل سندع رجالاً آخرين ينزلون إلى الحرب ويُعرِّضون حياتهم للخطر.

وثمة ما هو أكثر من ذلك جميعنا نريد أن نسمو إلى الحد الذى استفزنا لنأتى.

يتحدث المرء عن البهاء، لكنما الحرب ليست رائعة سوى فى الشعور الفردي.

بقهر المرء لنفسه يُمكنه أن يجعلها رائعة بالنسبة له.

لكنها قذرة فى الشعور العام.

ما من شىء رائع فى ميدان القتال، حين ينتهى القتال، مِزق من كانوا ذات يومٍ رجالاً معذبين ومشاهد طبيعية متساوية، عزلة الجحيم البربرية.

لن أنسى قط أول من مات من رجالى.

كان ضابط إشارة، راقدًا فى الأسفل على التل الموحل، ظننته نائمًا فى أول الأمر، لكننى حين نظرت إليه عن قرب رأيت أن كتفه بيضاء عبر سترته.

كان يرتدى حذاءً عسكريًا أسود، حذاؤه كان غريبًا لكن

لمرآه ذاتُ التأثير الذى أحدثه الحذاء الأسود ذو الخطوط البيضاء فى الطفولة.

إن لدى ذات الشعور الخرافى بأنه يجلب سوء الحظ لى حينما أرتديه!

الليلة كنا نغنى فى مجموعات "عائد إلى ذكرى الأيام السبعة البعيدة الماضية"، إنه نوع مُحزن من الأغانى القصيرة.

كم كان مُحزنًا أن نلعب لعبة الخمسمائة كى نسرى عن أنفسنا.

ابتهج وتذكر أنى جد سعيد.

أتمنى لو قضيتَ يومًا واحدًا ها هنا؛ كى تعى ذلك.

المخلص

كون

الرسالة التاسعة والعشرون

الثالث من ديسمبر ١٩١٦م.

أعزائى الفتيان:

قبل هذا الوقت ستكونون قد انتهيتم من أداء امتحاناتكم وآمل أن تجتازونها.

سيكون رائعًا أن تذهبوا معًا إلى نفس الوظيفة.

تقولون أنكم تحسدونني... حسنًا وأنا أحرى أن أحسدكم؛ وددت لو كنت معكم؛ على الأقل ليس لديكم خصوم نابليون الأربعة الذين نناضلهم، وأيضًا أُكافح الوحل، لكننى فى الوقت الحالى نظيف وسكنت فى حظيرةٍ، فى قريةٍ ليست فى غايةِ السوء.

هنالك طاحونة قديمة، وما تزال هناك كنيسة أقدم، والبيوت الريفية المعتادة ذات أكوام السماد الضرورى أسفل النافذة الأمامية.

سيكون لدينا من العمل الكثير ها هنا، من تدريب الرجال وإعادة تشكيلهم.

تعلمــون كم تُقت إلى النوم بين الملاءات، بوســعى الآن، لكننى أجد الملاءات باردة للغاية؛ لذا ما زلت أستخدم كيس النوم، هكذا هو التناقض الإنسانى.

لكننى أخذت حمَّامًا ساخنًا البارحة- كأحسن حمَّام موجود فى فندق نيويورك- وأنا الآن نظيف.

استيقظت هذا الصباح على صوت أحدهم يغنى كاسى جونز(٣٢) Casey Jones ففكرت فى أعياد الميلاد الماضية.

سافر عقلى كثيرًا فى الماضى.

فجأةً.. رأيت شيئًا ما هنا ذكّرنى حين كنت برفقة إى E فى ليزيو Lisieux أو حتى بنزهات يوم السبت إلى نيلسون Nelson حين كنا معًا فى المزرعة.

تُرى أخبرتكم أن ضابطنا ب B الذى جُرح فى المعركة منذ شهرين عاد إلينا.

لقد جاءته الأنباء بأن ابنه الصغير قُتل فى المكان الذى غادرناه.

إننى لأتساءل متى سنكل من الطعان وإطلاق النار والقتل؟

يبدو لى أن الحرب لن تنتهى أبدًا قبل أقل من عامين.

كنت لطيفًا مع المترجم بريجيد Brigade، وقد وجد لى حجرةً مبهجةً ذات مصباحٍ كهربائى ومدفأة.

إنه بيت ريفى عتيق ذو ردهةٍ أمامية.
حجرتى فى الطابق الأرضى ممهدة بأحجار الآجر.
المقاعد هبطت قواعدها، وأطباق صينية قديمة وأنيقة على الأرفف.
هناك أيضًا آنسة فاتنة تمامًا.
ها أنتم ترون إذن، ما بكم من حاجة لتشفقوا عليّ أكثر من هذا.
الآن فحسب أنا مشغول؛ أُعد لتسلية عيد الميلاد لبريجيد.
طلب إلى الكولونيل أن أفعل ذلك، وعلى النقيض، كان عليّ أن أرفض؛ حيث أريد دومًا أن أصل إلى نفسي.
لا تتخيلوا كم هو مبهج أن أجلس فى حجرةٍ تكون لى مؤقتًا بعد العيش فى الحُفر جنبًا إلى جنبٍ مع رجالٍ آخرين!
بوسعى أن أكون أنا الآن، وليس جنديًا من الآلاف حين أكتب، سوف تتلقون منى خطابًا قريبًا.
أتمنى لكم قضاء وقتٍ رائعٍ فى لندن.

المخلص إلى الأبد
كون

الرسالة الثلاثون

الخامس من ديسمبر ١٩١٦م.

حبيبتى م:

عدت لتوى من آخر جولةٍ تفتيشيةٍ كضابط نظامى، والوقت يقارب منتصف الليل.

أكتب هذا كى تدركى أننى على وشك أن أنال إجازتى لمدة تسعة أيام فى بداية شهر يناير.

كم أتمنى لو كان بإمكانى أن ألقاكِ فى لندن حين أصل أو أقضى أجازتى فى نيويورك إذا ما فشلَ ذلك.

غداً أمتطى صهوة جوادى، مبكراً متجهاً إلى سوق من طرازٍ قديم أُقيم على مقربة من المدينة.

هل بوسعك تصورى -على نحوٍ خافت- مع سائس خيلى متنقلين، تتبعنا عربة خيل من مربط إلى مربط تقايض الفلاحين.

إنه شىء جيد إلى حدٍ ما، وتجربة جديدة تماماً بالنسبة إلى.

حين يصلك هذا الخطاب سيكون عيد الميلاد قد انتهى وأتمنى أن تقضى عيدَ ميلادٍ رائعاً بحق.

توقفت لأتحدث إلى أحد الضباط.

يقولون بأنهم على ثقةٍ بأنك جميلة ولكِ قلب دافئ، ويودون لو أرسلت إليهم كعكة ذات خمس طبقات، ونصف دستة زجاجات بورت(٣٣) port وزجاجة باريس تشيف (٣٤) Paris chef.

أقوم الآن بتقسيم الطعام والشراب ما بين هؤلاء المتسولين.

إلى اللقاء

حبيبك إلى الأبد
كون

الرسالة الحادية والثلاثون

السادس من ديسمبر ١٩١٦م.

محبوبتى م:

فضضت تواً طرود عيد الميلاد التى أرسلتها وأرتدى الآن بالفعل السترة والجوارب، و إنى لأستشعر حرارة الزنجبيل فى فمى.

أتوقع أن نغادر إلى إنجلترا فى العاشر من يناير.

آمل لو أن أحدكم عبر المحيط وكان فى لندن معى.

ولستُ أدرى ما الذى يمنعكم!

إن لم تنته الحرب أقرب مما يتوقع أحدنا، فليس من المحتمل أن أنال أجازةً قبل تسعة أشهر؛ لذا فإن أردت المجىء، إذا ما كان لديك متسع من الوقت حين تتسلمين خطابى فهُبِّى إلى قاربٍ واقفزى إليه وتعالى؛ لنر معًا كيف تبدو لندن.

إنى لأتساءل.. كيف ستمضين عيد الميلاد؟

لسوف أتصوره.

ربما سمعتنى أخطو على أطراف أصابعى صاعداً السلَّم إليكِ، إذا أصغيتِ السمع.

إلى أين تأوى الأرواحُ حينما تنام؟

من المؤكد أن روحى تطير عائدةً إلى حيث أنت يا حبيبتى.

عدت البارحة إلى مزرعتى فوجدت باقةً من الأزهار الورقية عند طرف فراشى وبها بطاقة ورقية.

وقد علِّق فوق مدفأتى زوج أحذية- لفتاة مزرعةٍ - زوج أحذية يوم أحد، ثقيلٌ مثيرٌ للعواطف، يلمع على نحوٍ مشرق وقد رُبطت فيه علامتان.

عيد القديس نيكولاس(٣٥) St. Nicholas فى السابع من ديسمبر، إنه فرصة للعزاب من الرجال ليتذكروا أن ثمة بنات فى العالم لم يتزوجن، ومن ثم كان الورد.

أرفقت العلامتين.. احتفظى بهما؛ ربما يصلحان لكتابٍ ذات يوم.

أتمتع الآن براحةٍ طيبة، وما زلت فى بيتى الريفى القديم.

مع حبى للجميع،،

كون

الرسالة الثانية والثلاثون

الخامس عشر من ديسمبر ١٩١٦م.

أحبتي جميعًا:

أنا الآن حيث تمنت والدتى أن أكون، فى حفرةٍ بالأرض على عمق عشرين قدمًا- نحاول إشعال نار- ومن ثم فإن المكان مفعمٌ بالدخان.

أين سأكون فى عيد الميلاد، لستُ أدرى، لكنى آمل أن أكون فى بيليتس billets .

عدت من الخنادق توًا، حيث كنت أقوم بالمراقبة.

الوحل ليس سيئًا للغاية، حيث أنا الآن، وبمزيدٍ من العمل، فى أيامٍ قليلة، سنستريح تمامًا.

سوف تتسلمون برقيتى بحصولى على إجازة، فى القريب.

أتساءل.. إذا ما كان المحيط الأطلنطى هادئًا بما يلائمكم كى يغامر أحدكم بعبوره.

مسكين بازل !Basil

خطابكم أول من أنبأنى بوفاته.

لابد وأنني قد شاهدت الهجوم الذى فقد على إثره حياته.

أعجب الآن، كيف لم أستشعر أن أحد هؤلاء الجنود الذين خفّوا من الخنادق واثبين هو ابن عمى الذى أقام معنا فى لندن!

تُرى ما سر رئيس الوزراء الألمانى، بعض اقتراحات السلام، ربما، التى تثبت التشدق بالعبارات الطنّانة وغير المقبولة.

يبدو الأمر هنا لنا وكأن الحرب لن تنتهي أبداً.

يبدو النهار كحلم صبى بعيدٍ، بحرية الإنسانية، عندما نخطو إلى تحررنا القديم فى أن تكون حياتنا.

أيُ احتفال ذاك الذى سنقيمه عندما أعود إلى البيت!

ليس بوسعى تماماً إدراك فرحتى بهذا الأمر.

عليَّ أن أنتهى من هذا الخطاب سريعًا لأرسله اليوم، من المفترض أن يصلك هذا الخطاب قبل الثانى عشر من يناير ، أو أقرب.

لعلكم توقنون أن مشاعرى معكم فى عيد الميلاد.

لسوف أتذكر كل الأوقات الرائعة، وأُخطط لعيد الميلاد ١٩١٧م.

حفظنا الله جميعاً

كون

الرسالة الثالثة والثلاثون

الثامن عشر من ديسمبر ١٩١٦م.

حبيبتى م:

دائمًا ما أشعر أننى أخدعكم جميعًا حينما أكتب خطابًا مفصلًا للعائلة، لكنه من الصعب للغاية أن أجد وقتًا للكتابة، مثلما اعتدت.

أسبوع تبقى على عيد الميلاد، وإننى أتخيل بدايات الإعدادات له.

بوسعى تذكر الكثيرمن الإعدادات، لاسيما حين كنا صغارًا، فى لندن.

يا للأوقات الطيبة التى قضاها المرء فى حياته!

جالسًا كنتُ مع سائس خيلي قرب النار هذه الليلة، بينما يقوم بتجفيف ملابسى.

لقد ذكرته لكم من قبل، كرجلٍ عاش فى نيلسون Nelson، وعمل فى المنجم الفضى للملك.

نشأ كلانا مفتونًا بكولومبيا الإنجليزية (٣٦) British Columbia.

آمل أن يكون الأولاد فى إنجلتــرا، حين أنال إجــازتى – بالكاد أجــرؤ أن أتمنى أن أجــد أحــدكم هناك– لكن ذلك سيكون رائعًا إذا ما استطعتم.

جد مشتاق لأن أراكم ثانيةً جميعًا.

بوسعي فحسب تخيل كيف سيكون شهرى الأول بالبيت مرةً أُخرى.

لن أدع أحدًا منكم يعمل، لسوف أكون الفتى الذى لافكاك منه.

قضيت أفضل وقتٍ اليوم خارج ساحة القتال No Man's Land، سبعين ياردة داخل أرض الهون.

أؤكد أنها تجربة تامة، لم أنتقدها قط، لسوف أختزنها لأكتبها فى روايةٍ ذات يوم.

الآن ليس لدى مــا أقــرؤه ســوى مــجلة الســتــراند(٣٧) Christmas number of the Strandإنها تُذكرنى حين تســـابقنا نـحن الأطفـــال من أجل رواية كلب الصــيــد باسكافـــيلز(٣٨) The Hound of the Baskervilles والعديد من المناسبات حين كان لدى إحدى نوبات البرد وكنت أجلس إلى جوار نار هايبرى Highbury بينا أطالع كتابًا.

كانت أيامًا طيبةً.

ذاهب إلى فِراشى الآن، وسأنتهى من هذا الخطاب غداً، الفِراش أبهى مظاهر ترفى هذه الأيام.

التاسع عشر من ديسمبر:

وصل الكتاب والشيكولاتة لتوهما، وباقة من صحف نيويورك، رحبنا بهم جميعًا.

كنتُ تواقًا لقراءة شيء ما.

عليّ الذهاب إلى المراقبة غداً، اثنان من ضباطنا فى إجازةٍ؛ لذا فإن راحتنا أقل.

ما رأيك فى اقتراحات القيصر السخيفة للسلام؟

لابد وأن الرجل معتوه..!

مع حبى
كون

الرسالة الرابعة والثلاثون

العشرون من ديسمبر ١٩١٦م.

عزيزى السيد ت:

لقد عدت لتوى من معركةٍ مع الألمان Fritz، فوجدت أمنياتك الطيبة، ثمة نوع من المزاح ها هنا، رغم أن بعض المزاح قد ينقلب أحيانًا على الإنسان.

لقد ضحكت كثيرًا، أكثر مما كنت أظن دوما.

لكل مأساة وجهها المضحك- مثل دعابات مارك توين- مبالغة عظيمة.

الأمر الأكثر جنونًا بالنسبة لى، أن شخصًا يريد أن يصبح ودودًا للغاية، بينما عليّ أن أكون خارجًا هنا أقاتل الناس لأجل مبدأ.

ليس ثمة علة أو سبب، إن ذلك شىء ليس بالإمكان مناقشته.

يرى المرء ذلك على نحوٍ غامضٍ، ويترك والده ووالدته وبيته، ورغم ذلك فإنه من أجل مملكة السماء، ربما كان ذلك، إذا لم يربط المرء إيمانه بهذا "ربما" ليس بوسع المرء توضيح هذا.

عيد ميلاد سعيد

المخلص

كون

الرسالة الخامسة والثلاثون

العشرون من ديسمبر ١٩١٦م.

عزيزى السيد أ. د:

عُدت توًا من معركةٍ مع الألمان، حين تناولت الشيكولاتة التى أرسلتها.

كان لطيفًا منك أن ترسلها إليّ، لقد تفهمتِ الأمر للغاية فى الخطاب الذى أرسلته إليّ.

حياة المرءِ ها هنا تشبه شجرةً مقطوعة الجذوع- لقد ذهبت كل الأفرع السفلية - يحدق الأمر فى الأعمال النبيلة العظيمة، فى رعب الأبدية الفاتن أحيانًا- قلت رعبًا لكنه أحيانًا ما يكون رائعًا فى رحابته- يحدق المرء فى روائع التيتانز(٣٩) Titans العديدة المدمرة، لكنه عمل يصيب بالدوار لأنه سام ومزعزع.

يبدو أن كل الماضى الجميل، ذهب.

أعلم أننى سأموت لكن لدى الشجاعة لمواجهة هذا لكن ما يربطنى بالحياة الأصدقاء والأسرة وأشياء مثل خطابك هذا.

إذا ما عدت لسوف أكون مثل رِب فان ونكل(٤٠) Rip Van Winkle أو روبنسون كروزو(٤١). كأحد أو كل المخلوقات الأسطورية والتاريخية لهذا الذى نما على نحوٍ غير طبيعى كى يبدو طبيعيًا.

إذا ما تخيلت نفسك تعيش فى عالمٍ حيث يتم فيه إثبات الفكرة البروتستانتية كل يومٍ لما سيحدث فى النهاية، عندما يُدوى النفير الأخير، عندئذٍ تدرك فكرة ما عن موقفى الغريب.

وصل المرء إلى نقطةٍ لا يعتد بالموت فيها، والخيبة الوحيدة هى الخسارة المطلقة.

الحب والمستقبل وكل أحلام الماضى العذبة والجميلة كبيتٍ أُسدلت ستائره، وذهب المشهد عنه.

فقدت المشاهد الطبيعية جمالها، لقد تم تدمير كل ما صنع الله وكل ما صنع الإنسان، وليس سوى قدرة الإنسان على تحمل الأشياء التى خشيها مبتسمًا.

لأنه يؤمن بذلك فحسب، لذا فربما كان صالحًا فى عيون نفسه.

كم تاق المرء لهذه الثقة الأكيدة فى الإخفاقات الضئيلة للحياة القصيرة؟ الثقة بأن يؤمن أن بوسعه الوقوف والمعاناة من أجل المبدأ.

لقد منح الله كل الرجال هنا، تلك الفرصة المأمولة.
لذا رغمًا عن المنفى سيصبح عيد الميلاد سعيدًا لنا جميعًا.
هل يرى المرء قيمة الحياة أكثر فى المعركة؟
دائمًا ما أسأل نفسى هذا السؤال.
هل ازدراء الحياة الذى يبدو كل ساعة، هو المعيار الحقيقى لقيمة الحياة؟
إننى لأهز كتفى أمام أسئلتى التى ما من إجابة لها!
كل ما أعلمه أننى أتحرك يوميًا مع رجالٍ لديهم كل شىء ليعيشوا من أجله، ومع ذلك فهم مقتنعون بشهامة غير مُدركَة كى يموتوا!
لست أعتقد بأنهم يُشفقون على أنفسهم، لكنهم يفعلون إذا ما ترددوا فى اختيارهم.
يحيا المرء الشروق إلى الشروق فحسب، لكنما ثمة سعادة حقيقية فى تلك الحياة القصيرة، أكثر مما عرفت من قبل لأنها تستحق أن تُعاش.
شكرًا مرةً أخرى للطفك

المخلص
ك. د C. D

الاقتراح بأن نلتقى جميعًا فى لندن فى يناير ١٩١٧م، كان أملًا أكثر مما هو توقع.

تسلمنا برقيةً من فرنسا يوم الأحد السابع عشر من ديسمبر ١٩١٦م، وتركنا نيويورك فى الثلاثين من ديسمبر، والتقينا اثنين من أبناء البحارة فى لندن، ينتظران التعيين فى أى وقت.

ووصل كونينجسبى متأخراً فى مساء الثالث عشر من يناير.

لقد كان متوعكًا لدى وصوله ومصابًا بالتهاب رئوي، كان فى اشتباك فى المعركة فى اليوم السابق لتركه للجبهة فى درجة حرارة ١٠٤ .

ثمة صعوبات اعترضت إجازته فى الوقت المحدد، لكنه تغلب على هذه الصعوبات بتبديل إجازته مع ضابط صديق.

لقد ارتحل طيلة الليل من الجبهة فى قطار بلا نوافذ وقد تعطل فى كاليس Calais بسبب قافلة جنود المشاة الذين كان على القطار أن يقلَّهم إلى إنجلترا.

كان نتيجة ذلك التأخير أن لم تحدث مقابلة محطة السكة الحديدية التى حلم بها طويلاً.

قضينا نهارًا طويلًا تائهين من محطةٍ إلى محطةٍ؛ لعدم كفاية المعلومات بشأن وصول أفواج القطارات.

في محطةِ فيكتوريا رأينا ألفي جندى وصلوا فى العطلة، تخضب الرجال بطين المزارع.

على مضضٍ عدنا إلى فندقنا، بعد الظهيرة، ويئسنا من انتظارنا له.

دائمًا ما كانت هنالك برقية منه فى الفندق يُعلِمنا فيها مكان وموعد وصوله، لكنها لم تصل حتى تأخرنا عن لقائه.

لقد وصل فى العاشرة، وفى التوقيت نفسه دخل إلى الفندق شقيقاه اللذان تم استدعاؤهما فى الصباح إلى ساوثامبتون Southampton، لقد مُنحا عطلة خاصة للعودة إلى لندن.

راحة ليلة فعلت الأعاجيب بـ كونينجسبي.

وفى اليوم التالى ارتفعت معنوياته مثلما كانت أيام العطلات السعيدة الماضية.

عشنا الأيام الثمانية التالية فترةً من الإثارة.

ذهبنا إلى المسارح، وتناولنا العشاء فى المطاعم والتقينا أصدقاءً، واستمعنا إلى تفاصيل من حياته لم ندركها من

خطاباته، لقد ارتعدنا من لندن المظلمة المرعبة التى تجولنا خلالها.

لندن التى حملت أساها فى غاية الفخر، ومضينا عبر حياتها اليومية بهذه الشجاعة الصامتة.

زرنا أصدقاء قدامى منحتهم الحرب شجاعاتٍ ليست تُعوض.

لكنهم لم يستمعوا قط لصوت رثاء الذات من التذمر أو الشكوى.

كانت إنجلترا بالنسبة لى غربةً.

إنجلترا الطاهرة من كل ضعفٍ وترهلٍ وقد جددها الفداء.

لم أحلم قط بمثل هذا التحول فى أى شىء قرأته فى الصحف والمجلات الأمريكية.

لا أظن بأن أحداً ما بوسعه تخيل كمال الروح الوليدة لإنجلترا التى لم تسكن بين شعبها إلا أياماً قلائل فحسب.

سرعان ما انقضت عطلة كونينجسبى القصيرة.

لقد ودعناه من فولكستون Folkestone، وبينا نحن نودعه كان شقيقاه فى طريقهما إلى موعدهما البعيد نحو حرس البحرية الملكية للمركبات شمال اسكتلندا.

تركنا ليفربول إلى نيويورك فى السابع والعشرين من يناير، وبينا نحن بالبحر سمعنا عن الهدنة الدبلوماسية ما بين أمريكا وألمانيا واستقبلنا الأخبار مبتهجين على متن سفينة القديس بولس (٤٢) S.S. St. Paul .

كان يوم أحد وقد اختتمت الخدمة الدينية على متن السفينة بالنشيد الوطنى الأمريكى.

الرسالة السادسة والثلاثون

الثامن و العشرين من ديسمبر ١٩١٦م.

أحبتي:

أكتب إليكم هذا الخطاب الآن لأنني أتوقع أن تنشغلوا الليلة بتعبئة المشروبات.

إن صورتكم بالبال جميعًا.

كم هو رائع أن تأتوا جميعًا!

لم أتوقع أن تأتوا حقًا، ولا فى أعنف أحلامى تفاؤلًا.

طالما فكرت فى أننا نادرًا ما سنلتقي، والآن ها هو غير المتوقع والمأمول يحدث.

كتبت طلباً لنيل إجازةٍ خاصة حيث إن إجازتى سوف تُقطع.

أعتقد بأننى سأصل قبل الحادى عشر من شهر يناير المقبل، ألن يكون لدينا وقت؟

إن أتساءل ما الذى سوف نريده أكثر؟

أترى سنجلس هادئين أم سنذهب للمسارح؟

أيام الحرية التسعة هذه، التسعة أيام الرائعة، ستمضى بسرعةٍ محزنة، لكنها ستظل فى ذاكراتنا ما دامت الحياة.

هل سأراكم فى محطة لندن عندما أصل إلى هناك؟ أم هل نتقابل فى فولكستون Folkestone؟ هل سأصل قبلكم؟ أعتقد أنكم من ستلتقون بى عند حاجز تشيرنج كروس Charing Crossولسوف نستقل سيارة أجرة عبر الشوارع المظلمة أسفل الستراند ثم نئوب إلى عزلتنا.

كم يبدو ذلك محالاً!

تماماً كرؤية رغبة القلب ليلاً.

بعيداً.. بعيداً.. أرى البيت الجميل آتيًا كمصباحٍ يحترق فى ليلةٍ مظلمة، أرى أن رءوسنا جميعا ستنفجر سعادةً وسنصبح أكثر جنوناً من ذى قبل.

من تخيل مثل هذه الأيام التسعة السعيدة فى أيام لندن الخالية كما أردنا معاً؟

وفقكم الله، إلى أن أراكم

كون

الرسالة السابعة والثلاثون

الرابع من يناير ١٩١٧م
العاشرة والنصف مساءً

أحبتى:

هذا الخطاب للترحيب بكم فى إنجلترا، ربما أكون معكم حين تقرءونه، لقد كان نبأً رائعًا أن أعلم أنكم كنتم قادمين، كنت ألعب لعبة المحتال البائس فحسب حينما أرسلت هذى البرقيات.

إنكم بالبحر فى هذه اللحظة، وينبغى أن تكونوا فى منتصف الطريق.

لقد تعجبتم فى رحلتنا السابقة من لا مبالاة الجنود الواضحة على متن السفينة.

وها أنتم قادمون لمقابلة أحد جنودكم الجدد من الجبهة، تغيير.

أوه! يا للأيام التسعة التى سوف نقضيها، إنها الأكثر روعة مما مضى.

إنى أحلم بهذى الأيام، وأقص الحكايات على نفسى عنهم، لطالما عشت هذه الأوقات فى خيالى قبل أن أُدركها.

أحيانا ما أنام إلى ما لا نهايةٍ، وأحيانًا أظل مسهدًا، وأحيانًا أجلس هادئًا بجوار المدفأة، وأحيانًا أذهب إلى درج الطائرة فى كل الأوقات.

ليس بإمكانى تصور وجوهكم فى الصورة- يبدو من غير المعقول أن نتقابل معًا مرةً أخرى.

كنت أُعد للقائنا اليوم- إذا ما وصلتم أولًا، ثم إذا ما وصلت قبلكم، وأخيرًا إذا ما وصلنا لندن فى التوقيت نفسه.

لا تتوقعوا منى أن أكون رجلًا عاقلًا، أنتم أكبر من أن تفعلوا هذا، وأتمنى لكم رحلة مريحةً.

إن الشبح الوحيد هو اليوم الأخير، يوم يندفع القطار خارجًا من تشيرنج كروس.Charing Cross

لكنّا سنفعل ذلك مبتسمين أيضًا؛ إنها الحرب.

المخلص دائمًا للأبد

كون

الرسالة الثامنة والثلاثون

السادس من يناير عام ١٩١٧م.

أغلى الناس:

رأيت أخًا ضابطًا على متن أتوبيس لندن السابق فى الطريق إلى بلايتى Blighty.

لكم كنت أود أن أخطو على متن عربة أطفال لندن الليلة! "بيكارديلى Pickerdilly سيركس Cirkus's آيبرى Ighbury' ، آيجيت Ighgate' ويلش Welsh بالكامل، كل الطرق.

يا إلهD! أيُّ وقتٍ رائع سأمضى معكم حينما نلتقي، لسوف أشعر رغم ذلك تفهمكم إذا ما حدث لى شىء بعد عودتى، ستتقبلون ذلك بشجاعةٍ.

هذه الخطابات ضيقة الأفق، بكتاباتها فحسب، دون لمسات أيدٍ حيةٍ ليست تبلغ سوى القليل.

حين نقضى وقتًا ممتعًا معًا، ونجلس حول النار، ونتحدث مثلما يحلو لنا سوف تعون ما بين الأسطر فى خطاباتى المقبلة.

غداً ستهبطون فى إنجلترا، وستبيتون ليلة الغد فى لندن.

إننى أحاول أن أبادل إجازتى بإجازةٍ رجلٍ آخر، وإلا فإنها لن تأتى قبل الخامس عشر.

إنى لأتطلع كل لحظةٍ لتلك الأيام التسعة الرائعة التى سوف نمضيها معًا.

ليس بوسع خيالكم الجميل تخيل التناقض ما بين تسعة أيام برفقتكم فى لندن وأيامى هنا حيث أنا.

مضت كتيبة إلى المعركة أمس وهى تمرح، تسلل شعور إلى قلبى أننى أود الاستقرار.

جميعنا ينتابنا هذا الشعور من وقتٍ لوقت.

قصصت على نفسى حكاياتٍ رائعةً فى الصباحات المبكرة الغامضة، وأصبحت مهندسًا معماريًا لأروع مستقبل.

سألحق بكم حالما أستطيع، سأكون فى لندن يوم السادس عشر من هذا الشهر على أسوأ تقدير.

المخلص إلى الأبد
كون Con

الرسالة التاسعة والثلاثون

الرابع والعشرون من يناير ١٩١٧م

أعز الناس:

أُتيحت ليَّ الفرصة لأن أكتب إليكم أسرع مما توقعت، حيث توقفت الليلة الفائتة وترجلت لأكتب، إننى ألحق بالقطار الآن.

أمر غريب أن تعود وتصبح تحت الأوامر بعد تسعة أيام من الحرية.

نزلت مباشرةً وتلقيت الأوامر بالمسير نحو الفرقة - ذلك ما جعلنى أفقد قطارى - ليس لأننى اعترضت، لأننى حصلت على قسط أكبر من النوم بين الأوراق.

التقطت قاربًا فى الطريق غير المنتظم مع ثلاثة ضباطٍ آخرين، لذا فلدى هبوطنا أقمنا سهرة لنتناول العشاء معًا، وقضينا مساءً لطيفًا.

لم أشأ أن أتذكر كثيرًا حينها، لذا لم أكتب إليكم.

يا للأوقات الرائعة التى علينا أن نتذكرها، وكم سيسعدنا أن نلتقى جميعًا.

الآن.. علينا أن ننتظر الصيف، وربما نهاية الحرب.

يا للبهجة العارمة التى ستجتاح العالم حين يُعلن السلام!

هذه الزيارة ستشعركم بأنكم تشاركون فى كل ما يحدث ها هنا، وأنكم جزء حقيقى منه مثلنا تمامًا.

إننى جدُ فخور بكم، لشجاعتكم.

المحب المخلص

كون Con

الرسالة الأربعون

السادس والعشرون من يناير ١٩١٧م.

أغلى الأحبة:

ها قد عدت، إن إجازة الأيام التسعة أضحت حلمًا.

الليلة الفائتة، دخلت إلى عربات نقلنا بعد منتصف الليل، وأُصبت بنوبة برد عبر عبوري الدروب المتجمدة في الريف الشتائي الشاحب.

كنت نصف متوقع لهذا؛ فلم أحزم كيس نومي، كان عليّ أن أُوقظ جندي المراسلة وأسافر سيرًا على الأقدام مسيرة ميل إلى حيث مسكن الجنود.

كانوا جميعًا نائمين حين وصلت إلى هناك، بسطت كيس نومي وانسللت إلى داخله بهدوء.

للحظاتٍ قبل أن أُغمض عيني، تخيلت لندن، التاكسيات، الحفلات المبهجة، غموض الأضواء.

صحوت هذا الصباح على أوامر تلقيتها بالصعود إلى مدفعي في الحال.

اختلست بعض الوقت لالتقاط جزءٍ من بريدى المكدس، ثم امتطيت جوادى وانطلقت.

تم إبلاغى هناك بأن مهمتى أن أكون ضابط اتصال بين الوحدات، لذا فها أنذا هنا فى الخنادق، أكتب إليكم على ضوء الشموع.

كم كان رائعًا وقتنا معًا خلال الأيام التسعة!

وها هى قد انتهت، وعدت إلى الخنادق وغدًا تبحرون إلى نيويورك.

ليس بوسعى أن أخبركم كم كانت تلك الفترة تعنى لى!

لقد مرت بى أوقات اعتقدت فيها أن حياتى الماضية محض أسطورةٍ، وأن ليس ثمة شىء أتطلع إليه فى المستقبل.

بوسعى أن آمل الآن إلى بعيد، عودة الأيام الخوالى .

حينما كنت فى لندن، كان نصف عقلى على الجبهة، الآن وقد عدت إلى الخنادق، فنصف عقلى فى لندن!

إنى أعيش أيامنا المبهجة معًا مرةً أُخرى؛ أغدو إلى

العشاءات الصغيرة الدافئة، أجلس برفقتكم فى الأكشاك، أستمع إلى الموسيقى ثم أرتمى لأنام، وأحلم، ثم أصحو فأجد الحلم وهمًا.

إنه، مع ذلك، تناقض رائع وقوى بين اللعبة التى يشارك المرء فيها ها هنا وبين تفاهات الحياة المدنية القلقة.

المخلص كون Con

الرسالة الحادية والأربعون

السابع والعشرون من يناير ١٩١٦م.

ظللت على حالتى إلى أن حدث شىء.

مر يومٌ ثم يوم.

أكتب إليكم فى منتصف الليل، على أضواء الشموع.

منذ الليلة الفائتة وأنا مع ضباط المشاة الذين كانوا يؤدون أعمالًا عظيمة بروح لا مبالية مرحة.

كل رقة تسللت إلى داخلى فى الأيام التسعة التى قضيناها معًا،غادرتنى.

إنى سعيد لكونى هنا، ولن أرغب فى أن أكون فى أى مكانٍ آخر حتى تنتهى الحرب.

أسبوع مضى مذ كنا عند العمة تشارلى، هذ الحفل الصغير المبهج!

أتوقع أن يجتر الأولاد الآن، ذكرياتهم أيضًا، فى مكان ما على شاطئ البحر.

أعلم أنكم حول ساحل أيرلندا الآن وتنطلقون نحو الأطلنطى.

لم أُغير ملابسى طيلة ثلاثة أيام، وتبقى يومان على ذهابى، أحضرت حقيبة ظهرى معى إلى الخنادق، وما إن فتحتها حتى أدركت أن أيدٍ لطيفة تسللت إليها ووضعت فيها جوارب نظيفةً وأقراص حليب الشعير هورليك.

جنود الإشارة في حفرة قريبة يغنون "دع نار المدفأة موقدةً، إلى أن يعود الأولاد، ذلك كل ما كنا نفعله.

ألم تبلغوا هدفكم، وهل بلغنا هدفنا؟

انقضت الأيام القليلة الموجزة التى كنت فيها نفسى، وها هى المهمة القاسية تواجهنى مرةً أخرى.

الحمد لله أنى رأيت أحبتى مرةً أخرى، وكى أتمكن من إخبارهم عن مدى ضخامة حياتنا على الجبهة.

ليس ثمة اعتبار لأى من الأهداف الشخصيةٍ إلى جانب الامتياز العظيم الذى نحمله على كواهلنا، حتى تنتهى الحرب.

كل أفكارى معكم، العديد من الذكريات اللطيفة.

مازلت أتصور أشياءً كان علىّ أن أؤديها، أشياء كان علىّ أن أخبركم بها.

دائمًا ما أرى على الأخوين البحارين على نحوٍ جد جليٍ بينما يتحرك القطار عبر الغسق فى لندن، وتقف المجموعة

الأخرى التى تتألف من ثلاثة أشخاص إلى جوار حارس بوابة الميناء الذى يقف كملاك جنة عدن يحولهم عن السعادة، وقد ودعهما البحاران.

أبصرت نفسى فى عزلةٍ غريبة، كدميةٍ أتحرك، بعيداً عنكم يا أحبتى وأعز من لدى فى هذا العالم، مبتعداً كما لو أن الابتعاد شىء معتاد.

إنى لأسائل نفسى أليس صفاء روحى يلوح من هذه الحرب ويُبقيها على قيد الحياة، على مسافةٍ من الشجاعة المأساوية.

شعرت بأنى قد تراجعت إلى مستوىً خفيض، ثمة وهنٌ تسلل فى دمى- الخوف القديم من الحياة وحب الرفاهية.

إنه لمن الغريب ها هنا، أن يرقى المرء إلى ازدراء كل ما هو جبان حيث يحل الخوف من الموت محل الخوف من الحياة.

لا ريب أن نداء التضحية وربما التضحية الأسمى، قادر على نقلِ الرجال إلى نبلٍ هم أنفسهم غير واعين له، ذلك أروع الأشياء التى لا يعونها فى صفائهم.

فى انتظار راحتى الآن، وإنى لأتعجل إنهاء هذا الخطاب كيما أتمكن من إرساله لدى وصولى وحدة البطاريات.

ثمة كيس كامل من الخطابات والطرود بانتظارى هناك، وإنى لأتوق إليها توق طفلٍ لاكتشاف غطاء رأس عيد الميلاد.

دائمًا ما أقوم بقص الشرائط والأربطة بوقارٍ جم، محاولًا تخيل الأعزاء الذين انحنوا كى يربطوها.

لم أجرؤ أن أترك نفسى لأذهب معكم فى لندن، لم أقل كل ما فى قلبي، لم يكن ذلك لا ترتابوا بأن ثمة ضعفاً ، فحتى رغم ذلك، فالمرء مدنى فحسب يرتدى زيًا عسكريًا.

إن بعض قسوة الجندى تصبح طبيعة ثانية.

غطى الثلج الريف بأكمله، إنه طقس صافٍ رائع، أشبه بالطقس الأمريكى منه بالأوروبى.

أشعر أنى قوى كفرس، أقوى مما شعرت أثناء إجازتى.

تستحق الحياة بحق أن نعيشها، بدلًا من الحرب.

الرسالة الثانية والأربعون

الثامن والعشرون من يناير

عدت إلى المجموعة، أجلس إلى جوار النار، ساهراً أُحدق في كوتيناى، إننى فى كوخ فى كوتينـاى فى كندا، كـوخٍ ذى أرضية حقيقية، تطل نافذة الكوخ على ضوء القمر الشاحب.

لو لم تكن أصوات طلقات تلك المدا ع البعيدة ، التى بدت لى كأصوات دق المسامير فى النع ش، لقلت أننى هنا للمتعة.

بوسعى رؤية سفينتكم العظيمة فى خيالى، بكل كوّاتها المتألقة تمخر عباب البحر فى ظلمات أميريكا، ليس بوسعى تخيل الإخوة البحارة الأعزاء، أراهم منتصبين فحسب شاحبين حين ودعناهم.

يمعن الليل فى الإيغال، تحتضر النيران، ويغالبنى النعاس.

لم أُغير ملابسى طيلة ثلاثة أيام.

لسوف أقص على نفسى قصة نهاية الحرب، ولقائنا معًا- سيبدأ ذلك لحظة أن أزحف داخل كيس نومى إلى أن أُغمض عيني، إنها حياةٌ بهية.

المحب

كون

الرسالة الثالثة والأربعون

٣١ يناير ١٩١٧م.

عزيزيَّ السيد والسيدة/ م:

كان لطيفًا للغاية منكما أن تذكراني، لقد عُدت من إجازةٍ في لندن في السادس والعشرين، ووجدت السجائر بانتظاري.

ثمة أشياء كثيرة لا تمنحني المتعة، ولكن التدخين أحد هذه المُتع.

إني لأشعر بالإثارة على وجه خاص كلما فتحت حقيبتي ووجدت حروف اسمي عليها.

توقعت أنكم ستسمعون أخبار إجازتي قبل أن يصلكم هذا الخطاب بوقتٍ طويل.

لقد قضينا وقتًا رائعًا، وحظينا بحظٍ عظيم.

إخوتي البحارة كانوا معي جميعًا طيلة يومين، وأهلي كانوا في إنجلترا لأيام قلائل قبل أن أصلها بأيام.

إنها مغامرة غريبة لشخصٍ مسالم مثلي، تُخفي الماضي وتجعل المستقبل يستعصي على الرؤية.

إن المرءَ بالكاد ليـأمل أن تخـتلف الأمـور ذات يوم، ولكن يتطلع إلى سنوات من التحمل ليست تنتهى.

لقد أصلحتْ إجازتى مزاجى العقلى إلى حدٍ ما؛ وجاءت كمفاجأةٍ كى أدرك أن ليس ثمة نساء ولا أطفال فى الجبهة، إن لدينا عدة عوالم مختلفة فى عالمٍ واحد.

لكنّا لسنا فى حاجةٍ إلى أية شفقة.

إنّا نجد أوقاتنا الطيبة، وإنّا لنأسى لهؤلاء الرجال الذين ليسوا هنا؛ لأنه من الرائع أن يتم اختيارك كى تُضحى وربما تموت كى يكون عالم المستقبل أكثر سعادةً ولطفًا.

إن الخطاب مفكك إلى حدٍ ما، فأنا مسئول عن وحدة البطاريات هذا الوقت،

والرسائل تتوالى والمرء مندفع لإعطاء الأوامر بالضرب.

إنها ليلة أمريكية، ثلج أبيض وبرد، مع قمرٍ فاترٍ يُبحر بهدوء.

أعتقد بأن جمال السماء الهادئ هو الشىء الوحيد فى الطبيعة الذى لا نخشاه والذى لا نُدمره بقتالنا.

إلى اللقاء وأشكركم كثيرًا

المخلص

كونينجسبى داوسن

الرسالة الرابعة والأربعون

الأول من فبراير ١٩١٧م.
الساعة الحادية عشرة مساءً.
والدى الغالي:

تعبيرك "فى الأيام السوداء" حيث لا خطابات منى، يحثنى أن أكتب إليك فى هذه الساعة المتأخرة.

أُصبتُ بالبرد طيلة اليوم، لكننى قضيت وقتًا ممتعًا فى أو. بى "مركز المراقبة الأمامى O.P. (Forward Observation Post ".

إنه لمن الصحيح المؤلم أن أقول ذلك، لكن اقتناص أهدافٍ سهلةٍ من العدو حين يبدو، متعةٌ إلى حدٍ ما.

حين تراهم يتناثرون كالنمل أمام القذيفة التى أمرت بتوجيهها، تنسى أن تُفكر فيهم كأفراد، ليس أكثر من صائد دببة لا يُفكر فى الأشبال التى سيتركها بلا أمهات.

إنك تشاهد ضحاياك عبر نظارتيك، كإلهٍ يشهد عالمه المجنون.

إن مهارتك فى إطلاق النار تجعل منك ما يُطلق عليه مجرماً.

غريب، إننى سعيد حين أقتل الأعداء مع أنك لا تقتل أحداً حتى يقترب منك وتغضب منه فحسب.

عدتُ لوهلة صغيرة، وكان عليّ أن أعود إلى الجبهة ثانيةً لقيادة بعض المدافع.

كان الريف متألقًا تحت ضوء القمر.

كعين بعيدة ترى ميدان حربٍ قديم، تحت سحابة بيضاء من الثلج ترقد أجساد غير مدفونةٍ لا حصر لها.

كأصابع محمومة تمزق السماء، عبر الأفق، كانت أضواء الألمان تُطلق النار وتنجرف عبر جبهتنا.

مضت مدفعيتنا.. مضت الأسلحة الثقيلة وبدت كالثيران الحانقة.

كان عليّ أن أعود بنفسى عبر التعفن البطولى الذى غطاه الثلج.

كنت أُسائل نفسى طيلة الطريق، لمَ لم أكن خائفًا.

ما الذى حدث لى؟

لابد وأن الأشباح تمشى ها هنا!

علاوةً على أننى أُدرك أننى سأخاف ثانيةً، حين تنتهى الحرب.

هل تذكر كيف عرضت عليّ نقودًا كى أمشى عبر غابة دين Dean بعد حلول الظلام، ولم أفعل؟

لم أكن لأفعل لو عرضت عليّ ذلك الآن.

تذكر أسطر ميريديث فى غابات ويسترمين Woods of Westermain:

"كل العيون تحت الأغطية

تُغلفك بنظراتها الساخطة

ادخل إلى هذه الغابات المسحورة

أنت يا من يجرؤ أن يفعل"

ربما إن الذى يُعيد خلق المرء من أجل تلك اللحظة هو زى الضابط البريطانى، وحقيقة أنك لا تُسأل، لكن يُتوقع منك أن تؤدى واجبك.

لذا فقد عُدتُ هادئًا تمامًا عبر خنادق قُصفت وأكوامٍ ساكنةٍ ليكتب هذا الخطاب إليك.

والدى الغالى، لقد جاوزت الثلاثين، ومع ذلك فمازلت صبيًا كما كنتُ، مازلت أشعر باعتمادى الغامر على رأيك الطيب وحبك، على نحوٍ كبير.

إنى سعيدٌ أن تقول إنها أيام سوداء تلك التى لا تتلقى فيها خطابات منى.

إنى لأحبُّ أن أتخيل اندفاعك إلى الباب حين يطرقه ساعى البريد وصياحك المثير صاعداً درجات السلَّم "هلموا بسرعة خطاب من كون".

الثانى من فبراير

تَرى من كتابتى كم كنتُ مُتعبًا حين وصلت إلى هذه النقطة.

أربعة وعشرون ساعة أخرى تقريبًا، وها هو الليل مرةً أُخرى.

الجرامافون يغنى "هواء من لا توسكا La Tosca الذى يصحبه هدير المدافع.

أُغمض عينى وأتخيل الأوقات العديدة التى سمعت فيها " ربما " الأوركسترا الألمانى لبرودواى جوى بالاسيس يعزف ذات الموسيقى.

كم يبدو من غير اللائق جلوسى ها هنا للاستماع إليه هنا وتحت هذه الظروف!

لابد وأننى استمعت إليه مراراً من قِبل حشودٍ مرحة فى الأماكن الجميلة من العالم.

تكبر صورٌ رومانسية فى عقلى لليلة زرقاء، وضحك الصبا فى ثوب مسائى والمصابيح التى تومض عبر الأشجار، بعيداً الظلال المخملية للمياه والجبال، وكصوت لهؤلاء جميعًا هذه الأغنية من لا توسكا.

إنى لأؤمن أن الصامتين من الناس نهضوا من أسرّتهم الثلجية كى يستمعوا، كلٌ يستدعى لحظة الانتشاء، قبيل أن يتحطم حلم الحياة.

ثمة صورة فى البانثيون Pantheon فى باريس، أتذكر فيما أعتقد أن اسمها "إلى المجد".

يرى المرء كل الجيوش تتقدم مسرعةً فى المسافة الوسطى والموت شخص ماثل فيما بينهم.

الشرف الوحيد الذى اكتشفته فى هذه الحرب يكمن فى قلوب الرجال- إنه ليس شيئًا سطحيًا.

إذا ما رسم المرء روح هذه الحرب، فسيرسم مشهداً موحلاً، وشجراً بغيضاً، وسماءً صلبةً، وجاءت مجموعة من الأشكال المنحنية تخوض عبر الوحل والهياكل، أكثر شبهًا بالمنبوذين من إمبانكمنت Embankment منهم بالجنود.

لقد حُمِّلوا الكثير، كما لو أنهم مجموعة من الحيوانات، كنت أكتافهم مستديرة، كانوا منهكين إلى حد الموت، لكنهم واصلوا وواصلوا.

لم يكن هنالك "إلى المجد" بصدد ما كنا نفعل هنا، لم يكن هناك وميض سيوف أو أزياء رائعة.

كان هناك رجال متعبون فحسب، عازمون على الاستمرار.

لسوف نكسب الحرب بواسطة رجال متعبين، لن يجتازوا اختبار تأمين على الحياة ثانيةً قط.

حشود مهشمة من أصحاب المخازن والسباكين ذوى الثياب الرثة وأشخاصٍ هادئين عاديين.

نحن مدنيون فى ملابس عسكريةٍ، لكننا من أجل المبادئ التى نحارب من أجلها؛ اكتسبنا قلوب المحاربين.

لقد نطعت علىّ أُغنيةٌ تدفق أفكاري، فاضطررت لغنائها.

إننا جميعًا نكتب خطاباتنا الآن حول شمعةٍ واحدة، وفجأةً نظر ضابط المهمة إلينا وصاح مغنيًا: "الله معكم، إلى أن نلتقى ثانيةً".

غنيناها فى مجموعات، كان ذلك فى ساوثبورت، كنت فى حوالى التسعة من عمرى، وسمعت هذه الأغنية لأول مرةٍ فى حياتى.

لقد مضيت إلى رحلتك الأولى إلى أميريكا، تاركًا عائلة جد وحيدة وراءك، كنا كأطفال نخشى عليك من الموت غرقًا.

ذات مساء كنا قادمين من جولة في التلال الرملية، سمعنا أصواتاً تغني في حديقة "كن معنا يارب إلى أن نلتقي ثانيةً".

الكلمات والغسق اللطيف والرجال الغامضون في حديقة إنجليزية صيفية، بدت كأنها تُجسد رعب فرقتنا عن بعضنا البعض.

ودعنا الكثيرين، وكان الله معنا.

لا أعتقد بأن فراقًا كان أصعب علينا من افتراقنا الأخير لدى رصيف حوض السفن غير الممتع، مع هبوب ريح الواجب الباردة، والحارس يمنعك الدخول، وطريق عودتك يقودك إلى أميريكا، بينما يقودني دربي إلى فرنسا، لكنكم هناك، جنود منتظمون- مثلما الكثيرين من الجنود بينما نحن نشرع في الذهاب إلى الحرب.

يتحدث المرء عن جيوشنا في الميدان، لكن هناك جيوش أُخرى، ملايين من الأُمهات والآباء والأخوات، الأقوياء الذين يحافظون على جفاف عيونهم وكنوز من الخطابات الموحلة تحت وسائدهم، يصلون وينتظرون وينتظرون أن يفتح الله بابًا آخر.

أمضى إلى الأمام ثانيةً غداً، مما يعنى النهوض مبكراً والمشى بخطى واسعةٍ عبر الثلوج، وهذا سبب لعدم كتابتى مرة أخرى، إن شمعتنا الوحيدة المسكينة تقف على آخر سيقانها الآن.

قصيدتك التى كُتبت حين كان المساكين يمشون مشيتهم العسكرية فى لندن، دائمًا ببالي.

"أمس وغداً

ثقيل الوطأة بالكد والأسى

لى أن يُغمى عليّ

إذا أنا لم أر

يوم ما بعد غد"

هناك القصيدة الأخيرة التى تنبأت بالروح التى بها نقاتل اليوم فى جبهة القتال.

وبالنسبة إليّ، فبروحٍ مبتهجة

أسير عبر الوحل والضباب

لأجل سماء تشرق تحت الغمام

سماء ما بعد غد

نحن المدنيين الذين تعلمنا طويلًا أن نحب أعـداءنا، وأن نعامل بالحسنى من يكرهوننا- مما جعلنا نستغرق وقتًا طويلًا كى نصنع جنوداً محترفين - نتطلع لليوم الذى يسود فيه السلام، وفى ذات الوقت نتهادى مصممين آملين من أجل المجد المخبوء.

المحب

كون

الرسالة الخامسة والأربعون

الثالث من فبراير ١٩١٧م.

عزيزى ميسيس. و :Misses W

لقد كان لطيفًا منك أن تتذكرنى فى عيد الميلاد.

قرأ إخوانى الضباط مجلة سفنتين Seventeen، التى استعاروها، بحماسة.

لقد عُدت من إجازةٍ عدة أيام، وها أنا أجلس ثانيةً للعمل.

كنت أشعر بقليل من الإجهاد بعد الأكل وقبيل النوم طيلة تسعة أيام، ومشيت على أقدامى فى مشية منتظمة.

كنت أكثر الأولاد الصغار همجيةً.

إنها تمطر ثلجًا ها هنا، والأمر جد مزعج.

نرتدى الوشاحات حول رءوسنا تحاشيًا للصقيع ونحلم بالنار على ارتفاع ميل.

جُل ما أطلبه حين تنتهى الحرب، أن يُسمح لى بالنوم جالساً فى مقعدٍ ذى ذراعين، وأن يدَعونى فى هدوءٍ تام.

النوم، ذاك الذى نشتهيه كثيراً بعض الأوقات، موتٌ فى عينات زجاجية.

ربما يسر بعض هؤلاء الرجال المنهكين المتناثرين فى ميدان المعارك، أن يرقدوا فى النهاية فى راحةٍ أبدية.

إلى اللقاء وأشكرك

المخلص

كون

الرسالة السادسة والأربعون

الرابع من فبراير ١٩١٧م.

أُمى الحبيبة:

فى مكانٍ ما فى هذه الرقعة ,أسمع صوت عزفٍ على آلة البيانو، وأصوات رجال تُغنى أُغنية "يوم كامل".

من الغريب أن الموسيقى تخلق لك عالماً لستَ فيه، وتجعلك حالمًا.

جالسًا بالقرب من النار، مسترجعًا كل الأوقات السعيدة، حين بدت الرغبة كاملةً على ما أعتقد فى قبضةٍ واحدة.

لا يكون ذلك أبدًا – دائمًا– دائمًا يفتقد المرءُ هذه الرغبة وعليه أن يفرك الغبار عن عينيه، ويستعيد أنفاسه ويبدأ البحث من جديد.

أفترض أنك تتعلمين الدرس من جلوسك هادئةً حين تكبرين فى السن، ويتوقف القلب عن النبض وتأتيك الرغبة كاملةً.

ومع ذلك، بوسعى أن أتذكر أياماً عديدةً سعيدة، حين كنت طفلاً فى الصيف ومؤخراً فى كوتيناى Kootenay.

ظن المرء على الأغلب أنه قد حاز الجنة فى قلبه.

قبل أن يصلكِ هذا الخطاب، سأكون فى الميدان ثانيةً، لكننى الآن فى مضمار تدريب خاص.

ليس بوسعك سماع صوت المدافع البعيدة، وإذا لم يكن ذلك من ضغط التأمل، مثال ما فى كنجستون Kingston، لاستراح المرء كثيراً.

يوم الأحد من بين جميع الأيام، هو اليوم الذى أتذكرك أكثر فيه.

جلست لتوك لوجبة منتصف النهار، لقد حسبت فارق التوقيت فيما بيننا.

ربما تقولين كيف كنا فى لندن منذ أقل من شهر.

لا يبدو ذلك حقًا حتى حين أكتبه.

إنى لأتساءل كيف ترين بيئتك القديمة؟

كم هو شاق أن تهبطى من علو الجبل من بهجة عظيمة كالتى عشناها في الأيام التسعة في لندن.

دائماً ما أُفكر فى ذلك بتقدير لنفسى حين تنتهى الحرب.

لسوف يكون ثمة شعور بالاستياء، آن استعادة الخسارة القديمة المفتقدة.

إن مواجهة المخاوف المأساوية أسهل بكثير من مواجهة المخاوف اليومية المألوفة.

ثمة شيء رائع ومنعش في المضى ما بين انفجارات القنابل- نحن جميعًا من صنعنا ذلك، نعرف حين تتوقف المدافع عن الزئير ويصبح دمنا أكثر بطئًا، ولا نكون بشرًا ثانيةً.

بدلاً من النهوض مبكرًا صباحًا وسماع الضابط المسئول قائلاً لك "ستدير صفًا فى خندق فلان الفلانى اليوم وتُطلق النار على كذا وكذا من الجنود الألمان "ستسمعين قولاً مُلحًا قائلاً" ستعمل من وقت وجبة الإفطار إلى وقت الغداء وتكسب عيشك اليومى، وستفعل ذلك غداً وعالم الغد بلا نهاية.

حقاً، ولكن ها هنا فى الحرب فلا يزعجونك بالعمل طيلة الوقت لأن الجميع يعرف أنه يُمكنك أن تلقى حتفك فى أى وقت.

لكن الشيء العاجل أسهل فى تأديته من غير الممتع فى دوام فعله دونما غضب - الذى هو لعبتك.

بدأت أستوعب ما الذى عانيتهِ حيث إن "ر" و "إى" فى الحرب أيضًا.

إنى متشوق للغاية إليهما.

لم أُدرك من قبل، مقدار حبى لهما.

إننى لأنزعج حين أظن أن أحداً منهما يُمكن أن يحدث له مكروه.

سمعت عن الكندى الذى تطوع فى الحرب حين سمع بمقتل أعز أصدقائه على أيدى حِراب الألمان.

لقد جاء للأخذ بالثأر، وكان أكثر الرجال مجازفةً فى كتيبته.

بوسعى فهم شعوره الآن.

جميعنا على حافة الانزلاق إلى عبادة الثور(٤٣)

سأكتب لكم قدر استطاعتى، لكن ليس لدى من الوقت الكثير– لذا فسوف تتفهمين.

إنها الليالى الطويلة، حين يجلس المرء ليشعل النيران التى تهبه الفرصةَ كيما يكون مراسلًا لائقًا.

قريبًا يحل عيد ميلادى يا للسماء! كم أكبر دونما عزاء "فلتكبروا معي(٤٤)الجميع يكبرون إذا ما أمهلهم الموت وقتًا.

إلى اللقاء ووفقك الله

المخلص للأبد

كون

الرسالة السابعة والأربعون

الرابع من فبراير ١٩١٧م.

عزيزى السيد: ب.

كنت أنوى الكتـابة إليك منذ وقتٍ طويل، لكن كـمـعظم كتابات المرء ينجزها حينما يكون عليه أن يخلد للنوم، والنوم وتناول الطعام يظلان المتع القليلة المتبقية لنا.

ظل خطابى الذى نويت كتابته فى رأسى إلى الآن.

فى عودتنا من إجازتنا فى لندن فى الأيام التسعة، وجدت خطابين منك فى انتظارى، فى اليـوم التـالى، ولُمتُ نفسى كثيرًا.

لعبةٌ غريبة هى الحرب، ليس مطلقًا ما تخيله عقل المدني، إنها أكثر رعبًا وأقل إثارةً.

الأكثر رعبًا الذى يخشاه العقل المدنى هو التشويه أو الموت.

إننا نادرًا مـا نفكر فـيـهـمـا هنا، إن الإرهاق والتعب الجسدى الذى لا نهاية له هو أقسى ما يصادف الجندى فى الحرب.

ألا تملك القدرة على أن تغتسل أو أن تنام، أو أن تبتل وتصاب بالبرد لفترات طويلة، وأن تجد الطين على شخصك وفى طعامك، وعليك أن تقف فى الوحل وتراه، وتنام فيه وعليك أن تواصل الابتسام، هذا ما يختبر شجاعتك.

إن شبابنا رائعون، ليسوا من المعتوهين الذين يعتنون بالشَعر الذين يصورهم مراسلو الحروب من يومٍ إلى يوم.

إنهم أشخاص سليمو العقل، يعرفون المقاومة التى تدلهم على ما يفعلون، ولكنهم يتحملون بشراسة، إنهم ذوو طبيعة جيدة وعزيمة على الفوز بالابتسامة.

لم أكن أُقدر ذلك من قبل مثلما أفعل اليوم، المقدرة الكامنة لقوة التحمل الرهيبة التى بداخل قلب كل رجل.

ها هنا رجال عاديون، على نحو واضحٍ، اغتسلوا، وأحبوا المسرح، وأحبوا كل ما هو طفولى وأحبوا حبيباتهم ولديهم حماسة للحياة - إنهم مفلسون من كل المتع عدا المتعة الأسمى ألا وهى معرفتهم بأنهم يؤدون الواجب العادى والأسمى الذى يقدرون عليه.

هناك الملايين من الناس مجرد الوعى بأداء واجبهم أكسبهم سلاماً عقلياً لم يحظوا به من قبل.

عن نفسى فلم أكُ من ذى قبل، أسعد منى الآن، ثمة رواية مفعمة بالنشاط والطاقة أضافتها إلى الحياة، المغامرات اليومية ومعرفة أنك فى النهاية تؤدى شيئًا لا تلج إليه آثار الأنانية.

يموت المرءُ مرة واحدة، والهم الرئيس هو كيف يموت وليس متى يموت.

لست أُشفق على المتعبين الذين حققوا فراغًا أبديًا وماتوا فى الحروب، لقد ذهبوا إلى الجنة فى أسمى لحظاتهم.

إن الذين أُشفق عليهم هم هؤلاء الذين لم يكن بوسعهم سماع نداء الواجب، والذين سينمو وعيهم مترهلًا كل يوم.

لقد جاءت الصرخة إلى العالم المتحضر "اتبعوني" مع الزئير القاسى لأول مدفع من بروسيا، صادقةً مثلما فعل(٤٥) فى فلسطين.

لقد ذهب الناس إلى كالفارى (٤٦) Calvary وهم يغنون قصيدة "تيبرارى(٤٧) "Tipperary وأغانٍ أخرى سخيفةً ذات سجع هزلي، ولكن أرواحهم كانت تماثل أية روح شهيد مسيحى فى المدرج الرومانى.

"أفضل ما يفعله المرء هو أن يُضحى بحياته من أجل صديقه."

يؤدى ذلك رجالنا بوعيٍ وإرادة دونما مرارة تجاه أعدائهم، أما بقية الوقت فليس يعنيهم إن كانوا ينشدون ترانيم أو أغاني زنجيةً.

لقد اتبعوا نموذج حريتهم وماتوا لأجله.

عهد سابق عبَّر عن نفسه فى التراتيل الجيورجية (٤٨) تراتيلنا، ليست أقل صدقًا،إنها تتقنع بمشاعرها فى الأغانى الزنجية.

منذ سبتمبر وأنا لم أحارب.

الحرب ليست تشيخ، بينما الوقت يمضى - إنها تخلب اللب.

علينا أن نكسب، لذا فإن هؤلاء الرجال لن يتعذبوا ثانية بواسطة الاستجواب البارع للحرب الحديثة.

مسألة أن نكسب الحرب أضحت مسألةً شخصية للرجال الذين يقاتلون.

العالم الذى يقبع خلف ميادين القتال يشترى الصحف اليومية ويأكل ثلاث وجبات يومية، لن يعرف قط ماذا تحمَّل العالمُ الآخر من أجل سلامته، حيث لن يملك أى رجل من هذا العالم الآخر مفردةً ليقولها.

لكننا سعداء، وإن لم تعتقدوا ذلك.

يا للمسلسل الذى سأكتبه لكم، إذا ما خرجت من هذا الاضطراب.

الحمد لله، لقد تغير مظهرى كليةً، لست أريد العيش أطول من هذا، أعيش جيداً فحسب.

إلى اللقاء وحظ طيب

المخلص

كونينجسبى داوسن

الرسالة الثامنة والأربعون

الخامس من فبراير ١٩١٧م.

أُمى الغالية:

أليست قراءة الصحف جيدة الآن؟ أيام خالية من أى شىء يُسَجَّل سوى النجاح.

ذاك يهبنا الأمل فى النهاية، على أية حال قبيل نهاية العام يجب أن تنتهى الحرب.

كما تعرفين، عدت من الميدان منذ شهر وأنا فى مدرسة المدفعية، أتلقى مقرراً إضافياً.

ألتقى عدداً عظيماً من الضباط الشباب من جميع أنحاء العالم، استمعت إليهم يناقشون برامجهم حين يتم إعلان السلام.

القليل منهم ليس لديه أية خطة أو أية آفاق.

بدأ معظمهم فى بعض مراحل التدريب المحترفة، حيث لن يكون لديهم الطاقة للعودة بعد انقطاع طيلة عامين.

السؤال الذى يسأله المرءُ هو كيف سيتم استيعاب كل هذا العدد من الرجال فى الحياة المدنية.

أخشى أن تكون النتيجة حشداً هائلًا من الرجال حققوا نجاحات فى ماضيهم ومستقبلهم غير مؤكد على نحوٍ كبير.

لسوف نصبح عالمًا عاطلًا دونما دخلٍ.

أخشى أن ينفد صبر البطل المحارب حين يكسر الجنود سيوفهم إلى محاريث ويُقرّون آنذاك أنهم لم يتعلموا قط أن يحرثوا الأرض.

حيث سأنجح هناك - حيث سأحول سيفى إلى قلم.

ولكن عن أى شىء سأكتب؛ كل شىء سيبدو قليلاً وغير منطقى بعد رؤية الجيوش ماضيةً إلى الوحل والموت، وسرعان ما ستكل الناس من سماع هذا.

يبدو وكأن الحرب تفعل بالأفراد ما تفعل بالمناظر الطبيعية، إنها تهاجم كل شىء شخصيٍ ومميز.

إن الوادى حين تنتهى الحرب سيكون أرضًا محضة- بالتحديد ما كان حين قال الرب "ليكن هناك الضوء"، الإنسان محض شىء ذى عقل مُتطَهِر من الماضى ومتأهب لأن يبدأ "ينتبه" من جديد.

إنى لأتساءل إذا ما كانت العودة إلى البيئة القديمة ستعيد إلينا كل المشاعر القديمة وكل مذاق قديم.

الحرب، كما أعتقد، جد مدمرةٍ، إنها لا تخلق الشجاعة حتى أنها تجدها فى روح الرجل فحسب، ومع ذلك فثمة مزيةٌ واحدة سوف تُبقى الحرب على قيد الحياة وتساعدنا على مواجهة إغراءات السلام- الشجاعة نفسها التى اكتشفها جميعنا هنا دونما وعى منا.

حسنًا يا أُمى، لدى خبر صغير، على الأقل، لا أستطيع إخبار أحدٍ به.

إنى على وشك أن أبرأ من نوبة أنفلونزا، أريد أن أبرأ منها تمامًا قبل أن أعود إلى سريتى.

أتمنى أن تكونوا جميعًا بخير.

وفقكم الله جميعًا

المخلص دومًا

كون

الرسالة التاسعة والأربعون

السادس من فبراير ١٩١٧ م.

عزيزتى الغالية م:

قرأت فى صحيفة اليوم أن الولايات المتحدة الأمريكية تهدد بالمشاركة في الحرب ومساعدتنا، أتمنى أن تفعل.

إن التفكير فى إمكانية ذلك يملؤنى بالفرحة.

لقد كنت مصاباً بالدوار طيلة اليوم.

سيكون العيش رائعًا بين أُناس لست فى حاجةٍ لأن تخجل منهم حين تنتهى الحرب، فى مكان ما عميق فى قلبى شعرت بالحزن منذ خرجت ها هنا لحاجة أميريكا للشجاعة - من السهل أن تجد الأعذار ألا تتسلق كالفارى Calvary؛ فالتضحية أنبل من أن تُلتمس.

أود لو رأيت البلد التى نحن فيها الآن هادئةً على نحوٍ رائع على الأخص فى نهاية حياتى فى الحرب "أم فى نهاية هذه الحرب".

ذلك سوف يبرئها من نظرة العالم إليها.

إنها لا تدرك ما الذى تفقده.

ثمة ريح تطهير تهب من هذه الحقول المتناثرة من الموتى من الجنود، تهب من أجل الأمم التى ماتت.

رغم أن الرجل الإنجليزى تُرك يحارب بمفرده إلى أن تنتهى الحرب وينتصر، وإنى لأتوقع من المستقبل لإنجلترا أكثر مما أتوقع لأمريكا بملايينها التسعين الذين لم تتحرك دماؤهم البليدة لنداء الواجب.

إنها عظمة الروح هى التى تجعل الأمم عظيمةً وليست مجرد كثافة سكانية.

المال والراحة وسيارات الليموزين والموسيقى الزنجية الأمريكية، ليست متطلبات الرجال حين يموت الأبطال.

إننى أمقت التفكير فى شارع أفينيو الخامس Fifth Av-enue بوجوهه الجميلة، وموديلاته وراحته وسيارات الليموزين وموسيقى الزنوج الأمريكيين وفتياتها الطائشات المبتسمات.

أمريكا ستموت كأمةٍ عظيمة، كجميع الحضارات التى ماتت، إن لم تقبل بندوب التضحيات التى تُعد الفرصة التى منحتها لها السماء.

إذا ما كان بوسعك أن تُرى الناس ما الذى يحدث فى الحرب وبشاعتها وموتاها وأسى الحرب، وإنكار الذات الرائع أعتقد حينها، لن يخافوا- الخوف ليس الشعور الذى ينتاب المرء - لسوف يخجلون من العيش حين يذرف الكثيرون أرواحهم راضين.

إننا نعوض أنفسنا بأن نطيل لحظات ابتهاجنا بالنصر.

لقد كانت التضحية لأجل حياة الآخر، فى الماضي، ضربًا من المُحال.

لقد تبدل كل ذلك.

إنا نُضحى بحياتنا ليصبح مستقبل الأجيال القادمة طيبًا وكريمًا، وهكذا بوسعنا تأمل الفراغ الذى كدنا نهوى إليه، بعيون هادئة.

لقد علمنا اليونانيون أن أبسط الرجال هم النبلاء.

ربما يموتون دونما أطفال، لكن أمثولتهم ستنجب الخيال لكل العصور القادمة.

إن الجنود الذين لديهم مثلهم العظيمة يعانون أكثر، ويواجهون حربًا أسوأ مما يمكن أن يخطط له أو يتآمر به شخص ما.

يموت الرجال محترقين كالفراش فى الأفران، يفرون إلى ذراتٍ فى الهواء، معذبين، ومرةً أخرى يقبل رجال آخرون للأمام، يأخذون أماكنهم، يدركون جيداً المصير الذى ينتظرهم.

تموت الأجساد ربما، لكن روح إنجلترا تكبر أكثر، وتسرع روحها الجديدة في دربها.

ستموت روح أمريكا الحبيبةُ وستحترق.

إنى لأؤمن أن الأيام القليلة القادمة سوف تُثبت الأزمة الأممية الحرجة فى أمريكا.

إذا ما رفضت الألم الذى سينقذها فلسوف تسلبها آفةُ شعورها بالأسى، حياتَها!

هذا الشعور القوى ينتابنا.

لقد مضى نصف الليل ها هنا، ولكنى لست بقادرٍ على كتابة المزيد الليلة.

وفقك الله

المخلص للأبد

كونينجسبى

المصادر التى استقيت منها المعلومات التى وردت بهوامش الكتاب

١- http://www.firstworldwar.com/battles/somme.htm

٢ - ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

٣ - المصدر: سيد عبد المجيد بكر، "الجالية المسلمة فى الأمريكتين والبحر الكاريبى".

٤ - المصدر الموسوعة البريطانية الحرة.

٥ - موقع كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت، الإسكندرية - مصر.

هوامش :

١ – جرت أول معركة من معارك المارن ما بين السادس والثانى عشر من سبتمبر ١٩١٤م، وهى معركة مهمة بين القوات الألمانية من جهة والقوات الفرنسية والبريطانية من جهة أخرى فى الحرب العالمية الأولى وقد حدثت على نهر المارن Marne، وانتهت بانتصار القوات الفرنسية والبريطانية (المترجم).

٢ – نيوآرك هى مدينة فى ولاية نيوجيرسى فى الولايات المتحدة الأمريكية وتقع نيوآرك على بعد٨ كلم غرب مانهاتن وطبقًا لإحصاءات الولايات المتحدة فان عدد سكان المدينة قد بلغ ٢٨١٠٠٠ عام ٢٠٠٧ وذلك بزيادة ٢,٩٪ عن عام ٢٠٠٠ وهى أضخم مدن ولاية نيوجيرسى يليها جيرسى سيتى وتوجد بها جامعة نيوجيرسى للتقنية NJIT وجامعه الطب التقويمى ويوجد بها شبكة موصلات كبيرة متصلة بمعظم أنحاء الولاية تبلغ نسبة السود فى نيوآرك ٦٠٪ من السكان وهى مدينة خطيرة تكثر فيها الجرائم بسبب الفقر والتمييز العنصرى (المترجم).

٣– معركة سوم معركة شهيرة هُزمت فيها القوات

البريطانية التى بلغ عددها فى المعركة آنذاك حوالى ٥٨ ألف جندى وقتل ثلث هذه القوات فى اليوم الأول للمعركة وذلك فى الأول من يوليو ١٩١٦م، ويُعد هذا العدد من القتلى رقمًا قياسيًا إلى يومنا هذا، جرت المعركة على مدى ثلاثين كيلو مترًا شمال نهر سوم ما بين آراس Arras وألبرت Albert واستمرت المعركة من أول يوليو إلى الثامن عشر من نوفمبر من نفس العام (المترجم).

٤ - كان وما زال صليب الملكة فيكتوريا أرفع النياشين والأوسمة العسكرية البريطانية للشجاعة، وقد تقرر منح هذا الصليب فى حياة الملكة فى فبراير عام ١٨٥٦م، وقد مُنح ستمائة وثلاثة و ثلاثون وسامًا فى الحرب العالمية الأولى وعُرفوا بـ " V.C" وتألّف اثنان من هذه الأوسمة من قطعتين وقد مُنحا لكل من آرثر مارتن ليك Arthur Martin-Leake وذلك عام ١٩١٤ م ونويل شافازى Noel Chavasse عام ١٩١٧م، وقد منح نويل شافازى وسامين، على الرغم من أنه مُنح الوسام الثانى بعد وفاته، وقد مُنح ١٨٧ من هذه الأوسمة لعسكريين بعد وفاتهم، بينما تم منح ١٨٢ وسامًا أثناء الحرب العالمية الثانية، من المعروف أن هناك نوعين من صليب الملكة

فيكتوريا "صليب الأب" و "صليب الابن" على الرغم من عدم وجود تعارض فيما بينهما، والجدير بالذكر أنه لم يتم منح صليب الملكة فيكتوريا لأيٍ من النساء قط (المترجم) .

٥- دارت معارك الحدود الأربعة اللورين والأردين وسامبر ومونز خلال الفترة من ١٤ إلى ٢٥ أغسطس، أما القتال الرئيسي فقد دار خلال الفترة من ٢٠ إلى ٢٣ أغسطس ١٩١٤م وانتهت جميعها بانتصارات ألمانية دون تدمير للقوات الفرنسية المواجهة (المترجم).

٦ - تأسست القاعدة العسكرية الكندية عام ١٩٠٥م ، ويرمز لها بـ C.F.B في بيتاوا أوتاريو، شمال غرب أوتاوا عبر الضفة الغربية لنهر أوتاوا، وتوجد البوابة الرئيسية لها إلى جوار بيتاوا (المترجم).

٧ - نهر أوتاوا هو نهر يقع معظمه ما بين مقاطعتى أونتاريو وكيبك الكنديتين، يعتبر أحد روافد نهر سان لوران ويلتقى به غرب مونتريال داخل مقاطعة كيبك (المترجم).

٨ - مقاطعة كولومبيا البريطانية فى كندا وبدأ احتلال جزيرة فانكوفر فى سنة (١٢٦٦هـ -١٨٤٩م)، ثم اندمجت أرضها الجبلية فى سنة (١٢٨٣هـ - ١٨٦٦م) فى مستعمرة

كولومبيا، وأصبحت مستعمرة فى سنة (١٢٨٨هـ - ١٨٧١ م)، تبلغ مساحتها (٩٤٨, ٥٩٦) كيلو مترًا مربعًا، وبلغ تعداد سكانها فى سنة ٢٠٠٩ ٤, ٤١٩, ٩٧٤ نسمة، وعاصمتها مدينة فيكتوريا، وأهم مدنها مدينة فانكوفر وبرنس جورج (المترجم).

٩ - أقمنا ما يزيد على ثلاثة عشر عامًا فى هايبرى- لندن أثناء قيامى بوظيفة راعى الأبرشية لكنيسة هايبرى (المؤلف).

١٠ - يرتبط هذا الاسم بالحرب العالمية الأولى ويُستخدم كمصطلح ومعناه الجنود البريطانيين المشتركين فى الحرب وارتبط كذلك بالقوات البريطانية فى القرن التاسع عشر ومازال هذا الاسم يُسمع من حين إلى آخر وخاصةً فيما يتعلق بالمظليين، واستخدم Tommy Atkinsأو Thomas Atkins كاسم عامٍ للجندى البريطانى طيلة سنوات، ويبدو أنه استخدم مبكرًا عام ١٧٤٣م، يقول خطاب أُرسل من جاميكا عن تمرد حدث بين القوات ولقد تصرف الجنود البريطانيون على نحوٍ رائع، أما اسم Atkins فهو يعنى الابن الأصغر للتراب الأحمر فى إشارةٍ إلى الجنود فى

ردائهم الأحمر، أما Tommy فهى تصغير لكلمة Thomas وتعنى توأم وهو اسم إنجليزى شائع منذ استشهد توماس بيكيت فى القرن الثانى عشر(المترجم).

١١ - Y.M.C.Aهى اختصار لكلمات Young Men Christian Association التى تعنى جمعية الشبان المسيحيين (المترجم).

١٢ - تشير إلى أرض القتال بعد انتهاء القتال، حين يعج الميدان بجثث القتلى (المترجم).

١٣ - السير والتر رالى (المتوفى فى ٢٩ أكتوبر ١٦١٨) نبيل وكاتب وشاعر وفارس وجاسوس ومستكشف إنجليزD، يُعرف بإشاعته استخدام التبغ في إنجلترا، ولد رالى لأسرة بروتستانتية في ديفون، قضى جزءًا من حياته فى أيرلندا فى مقاطعة وستميث، حيث شارك فى قمع حركات التمرد ضد إنجلترا وشارك فى مذبحة فى سميرويك وعلا شأنه بسرعة فى عهد الملكة إليزابيث الأولى، وأصبح فارسًا فى عام ١٥٨٥م، كما شارك رالى فى الاستعمار الإنكليزى لفرجينيا، وفى عام ١٥٩١م، تزوج سرًا من إليزابيث ثروكمورتون، واحدة من وصيفات الملكة دون إذن الملكة، لذا سجن هو

وزوجته فى برج لندن و بعد إطلاق سراحه تقاعد وذهب ليقيم فى أملاكه فى دورست وفى عام ١٥٩٤م، سمع رالى بـ "مدينة الذهب" فى أمريكا الجنوبية وأبحر للعثور عليها، وبعد وفاة الملكة إليزابيث فى عام ١٦٠٣م، سجن رالى مرة أخرى فى البرج ، هذه المرة بتهمة تورطه فى التمرد على الملك جيمس الأول، وفى عام ١٦١٦م أفرج عنه من أجل إرسال بعثة ثانية للبحث عن الذهب فى أمريكا الجنوبية، كانت البعثة غير ناجحة، ونهب الرجال الذين كانوا تحت إمرته موقعًا إسبانياً، عاد رالى إلى إنجلترا، ولاسترضاء الأسبان أُلقى القبض عليه وأعدم فى عام ١٦١٨م (المترجم).

١٤ – الهون اسم أُطلق على الألمان (المترجم).

١٥– اسم جيك Jakeهو اختصار لاسّم يعقوب Jacob وهى كلمة عبرية عامية تعنى ممتاز (المترجم).

١٦ – فريدريك ويليام فيكتور ألبرت ملك بروسيا، وُلد فى السابع والعشرين من يناير ١٨٥٩م وتوفى فى الرابع من يونيو عام ١٩٤١م، كان آخر القياصرة الألمان، ظل ملكًا لبروسيا وإمبراطوراً لألمانيا من الخامس عشر من يونيو عام ١٨٨٨م إلى التاسع من نوفمبر عام ١٩١٨م ، وهو حفيد

الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا، وقريب للعديد من ملوك أوروبا وأمرائها (المترجم).

١٧ – هى نوع من أنواع الجرامافون (المترجم).

١٨ – مُتحف مدام توسودس في ماريليبون رود Maryle-bone Road من أشهر متاحف الشمع فى لندن يضم تماثيل لمجموعة من مشاهير الساسة والفنانين والموسيقيين والرياضيين (المترجم).

١٩– ديفيد لويد جورج (١٨٦٣– ١٩٤٥م). أحد زعماء حزب الأحرار البريطاني كان رئيسًا للوزراء أثناء النصف الأخير من الحرب العالمية الأولى (المترجم).

٢٠ – هو مفترق طرق رئيسى فى نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية (المترجم).

٢١ – والدورف فندق عريق وشهير فى نيويورك (المترجم).

٢٢ – D .S .O هى اختصار كلمات Distinguished-Service Order award(المترجم).

٢٣ – V. Cهو اختصار كلمة Victoria Cross (المترجم) .

٢٤ – سوفولك جزء من الريف الإنجليزى فى أنجيليا

الشـرقى بإنجلتـرا ولهـا حـدود مـع نورفـولك Norfolk إلى الشمال (المترجم).

٢٥ – الفـريتـز لقب من الألقـاب التى أطلقـهـا الجنود البريطانيون على الألمان فى الحرب العالمية الأولى،

وأطلقـوا عليـهم لقب جـيرى Jerry أيضًـا فى الحـرب العالمية الثانية (المترجم).

٢٦ – رواية آن فـيـرونيكا لكاتبـهـا هـ. ج. ويلز "هـربرت جورج ويلز" (٢١ سبتمبر ١٨٦٦م– ١٣ أغسطس ١٩٤٦م) أديب ومفكّر وصحافى وعالم اجتماع ومؤرخ إنجليزى، يعتبر من مؤسسى أدب الخيال العلمي، وقد اكتسب شهرته بفضل رواياته التى تنتمى لذاك الصنف الأدبي، كـان هربرت على النقيض من معـاصره جول فيرن فقد حوت روايات ويلز انتقادات اجتماعية هادفة ولم يكتف بسرد المغامرات، و فى عام ١٩٠٩م نشر روايته "آن فيرونيكا" التى عرض فيها آراء نسوية يصف فيها نضوج آن فيرونيكا من طفلة ساذجة إلى شابة تمثل "المرأة الجديدة" أثارت الرواية ضجة كبيرة بسبب آرائها وبسبب تشابه اسمها باسم أمبر ريفز بينما دارت شائعات بأن ويلز أقام معها علاقة غرامية، وكان من وصف

الرواية بأنها سم روحي، وتم الادعاء أن الرواية تفسد الجيل الشاب (المترجم).

٢٧ – ماينديرت هوبيما Meindert Hobbema فنان ألماني وُلد في أمستردام عام ١٦٣٨م، وتُوفي عام ١٧٠٩م ، كان صديقًا وتلميذًا للفنان الهولندي يعقوب فان روسيل Jacob van Ryusdael، تميز هوبيما في رسم المناظر الطبيعية في حياته العملية القصيرة التي انتهت عام ١٩٨٩م، حين رسم آخر لوحاته، بعد عام من زواجه، وتوفي هوبيما تاركًا أعمالًا خلَّدته كواحد من أبرز رسامي المناظر الطبيعية في القرن السابع عشر، وتميزت أشجار هوبيما بأنها لا تتحرك غير أنها تمتد عاليًا لتصل ما بين الأرض والسماء (المترجم).

٢٨– رُسِم القديس لازاروس أسقفًا على ميلان في منتصف القرن الخامس الميلادي، وساد الاضطراب تلك الفترة حيث كان البرابرة القوط يخرّبون إيطاليا وكانوا يسودون على ميلان، وبالرغم من أن القديس لازاروس عاني كثيرًا منهم إلا أنه قاد قطيعه بحذر وأمانة، حتى إن القديس إنّوديوس Ennodius يعتبره من أعظم اثني عشر أسقفًا

على ميلان، والذين كان أولهم وأجلّهم القديس أمبروسيوس، تنيّح القديس لازاروس فى ١٤ مارس سنة ٤٥٠م بعد أن خدم كأسقف لمدة ١١ عامًا، ولكن الكنيسة الغربية أبقت الاحتفال بعيده فى يوم ١١ فبراير لأن أعياد القديسين لا يحتفل بها أثناء الصوم الكبير فى إبراشية ميلان (المترجم).

٢٩- هى أوبرا كتبها جاكو أوفينباك Jacques Offen-bach وهى أول عمل كامل له يصور الحياة الباريسية المعاصرة آنذاك وقد أضحت من أكثر أعماله شعبية فى العالم، وُلد جاكو فى العشرين من يونيو عام ١٨١٩م وتوفى فى الخامس من أكتوبر عام ١٨٨٠م (المترجم).

٣٠ "D.C.M. "distinguished conduct medal ميدالية السلوك المتميز (المترجم).

٣١ - V.C.'S تشير إلى Victoria Cross أى صليب الملكة فيكتوريا (المترجم).

٣٢- أغنية كاسى جونز، أغنية لفرقة الروك الأمريكية "جريتفول ديد" ألّف موسيقاها جيرى جارثيا وكتب كلماتها روبرت هنتر، ظهرت الأغنية لأول مرةٍ فى ألبوم غنائى عام ١٩٧٠م، وتحكى الأغنية عن مهندس سكك حديدية قطاره على وشك أن يتحطم بسبب سرعته الفائقة "المترجم".

٣٣ – يُعرف أيضًا بنبيذ باسم بورتو Porto وفينهو دو بورتو Vinho do Portoوهو برتغالى نبيذ أحمر حلو المذاق عادة ما يُشرب بعد الوجبات ويتم إنتاجه فى وادى دورو فى الأقاليم الشمالية من البرتغال (المترجم).

٣٤ – هو نبيذ فرنسى (المترجم).

٣٥ – القديس نيكولاس أسقف مورا بآسيا الصغرى فى القرن الرابع الميلادى من مدينة مورا، اسم أبيه ابيفانيوس وأمه تونة وقد جمعا إلى الغنى الكثير من مخافة الله ولم يكن لهما ولد يقر أعينهما ويرث غناهما ولما بلغا سن اليأس، تحنن الله عليهما ورزقهما هذا القديس، ولما بلغ السن التى تؤهله لتلقى العلم، أظهر ما دل على نجابته ومنذ حداثته وعى كل تعاليم الكنيسة؛ فقُدِّمَ شماسًا ثم ترهب فى دير كان ابن عمه رئيسًا عليه، فعاش عيشة النسك والجهاد والفضيلة حتى رسم قسا وهو فى التاسعة عشر من عمره، ويُرمز له بـ بابا نويل وسانتا كلوز (المترجم).

٣٦ – هى الأقاليم الغربية من كندا ، وهى معروفة بجمال طبيعتها وقد اختارت لها الملكة البريطانية فيكتوريا هذا الاسم عام ١٨٥٨ م ، وفى عام ١٨٧١ م أضحت الإقليم السادس

فى كندا ، أما عاصمة كولومبيا البريطانية فهى فيكتوريا (المترجم) .

٣٧ - هى مجلة شهرية، أسسها جيورج نيونز George Newnes، وصدرت أول ما صدرت فى إنجلترا منذ يناير ١٨٩١م حتى مارس ١٩٥٠م، وقد لاقت شعبية كبيرة حتى إنها وزعت ما يقرب من ثلاثمائة ألف نسخة آن صدورها حتى أصبحت توزع خمسمائة ألف نسخة شهريًا حتى عام ١٩٣٠م، وكان يحررها هربرت جرينهاف سميث Herbert Greenhough Smith منذ صدورها إلى عام ١٩٣٠م (المترجم).

٣٨ - هى الرواية الثالثة من أربع روايات بوليسية كتبها آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle وبرزت فيهن شخصية شيرلوك هولمز، وظهرت فى مجلة الستراند (المترجم).

٣٩ - فى الميثولوجيا اليونانية كان التيتانز من سلالة الآلهة و أحفاد جايا Gaia وأورانوس Uranus الذين حكموا أثناء الأسطورة الذهبية (المترجم).

٤٠ - هى قصة قصيرة للكاتب الأمريكى واشنطون إيرفنج، نُشرت عام ١٨١٩م، وهى تحمل اسم بطل الرواية،

وقد كتبها إيرفنج بينما كان يعيش فى برمنجهام بإنجلترا وقد ضمنها كتابه "الكتاب المصور جيفرى كرايون، وتدور أحداث القصة فى نيويورك على جبال كتسكل (المترجم).

٤١ – روبنسون كروزو هى قصة كتبها دانيال ديفو، نشرت للمرة الأولى سنة ١٧١٩م وأحيانًا ما تُعد الرواية الأولى فى الإنكليزية، هذه الرواية هى سيرة ذاتية تخيلية وهى تحكى عن شاب انعزل فى جزيرة ما وحيداً لمدة طويلة دون أن يقابل أحداً من البشر، ثم بعد عدة سنوات يقابل أحد المتوحشين، علمه بعض ما وصل إليه الإنسان المتحضر من تقدم فكرى وجعله خادمه، وفى نهاية القصة عاد روبنسون كروزو ومعه خادمه إلى أوروبا حيث العالم المتحضر، وهذه القصة تعنى للكثيرين حلم الانعزال عن هذا العالم الظالم والحياة فى ظل الطبيعة الرحيمة بالنسبة لهذا العالم كما تظهر مدى التحضر الذى توصلت له الأمم الأوربية، هذه التقنية تعرف باسم الوثيقة الخاطئة، وهى تعطى شكلًا واقعيًا للقصة (المترجم).

٤٢– أُطلق الطراد البحرى سفينة القديس بولس، للملاحة البحرية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى العاشر من أبريل

عـام ١٨٩٥م بواسطة ويليـام كـرامب وأبناء فـيـلادلفـيـا وبنسلفانيا (المترجم).

٤٣- كان الثور معبوداً فى البلاد الاسكندينافية وكان محارباً (المترجم).

٤٤- إشارة إلى قصيدة روبرت براوننج robertbrown-ing (المترجم).

٤٥ - يشير الكاتب إلى قولة المسيح الشهيرة لأتباعه "احمل صليبك فوق ظهرك واتبعنى" (المترجم).

٤٦ - كالفارى هى البقعة التى زعموا أن المسيح قد صُلب فيها (المترجم).

٤٧ - قصيدة غنائية للشاعر الإنجليزى روديارد كبلنج) dyard Kipling (المترجم).

٤٨ - تراتيل كنسية معروفة فى أوروبا منذ آلاف السنين (المترجم).

٤٩- هربرت هوفر هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية من عام ١٩٢٩م إلى عام ١٩٣٣م وكان هربرت مهندساً للتعدين بالمناجم كما كان مؤلفاً أيضاً (المترجم).

المؤلف



كونينجسبي داوسن "١٨٨٣ - ١٩٥٩ م

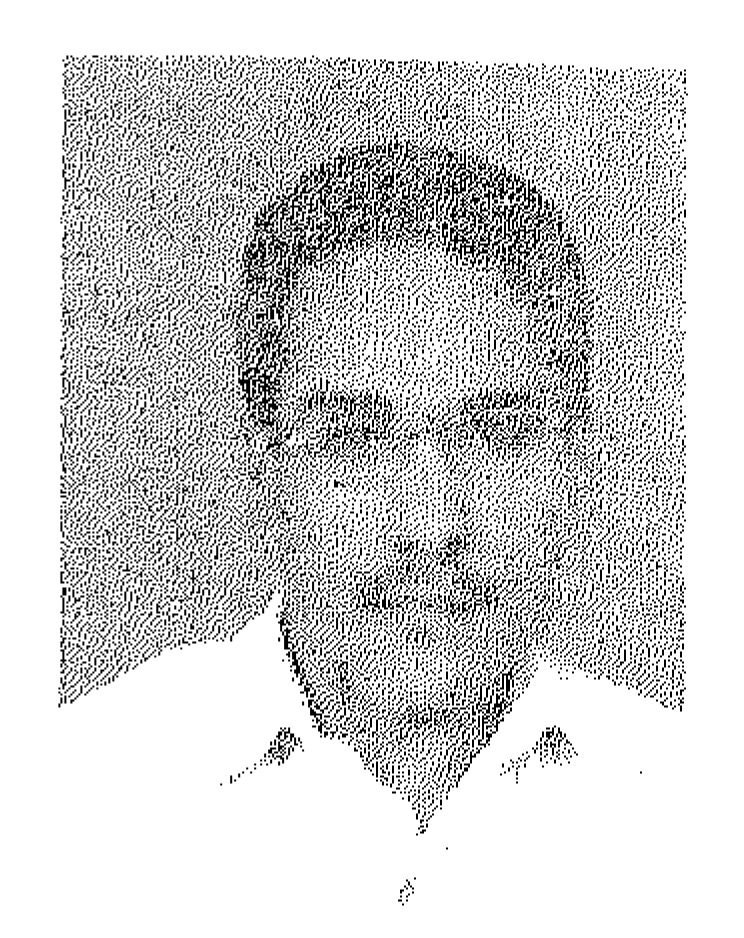
روائي وجندي أنجلو أمريكي في سلاح المدفعية الكندية، وُلد عام ١٨٨٢م في هاي ويكم - باكينجهام شاير، وكان ملازمًا في القوات الكندية وتوفي عام ١٩٥٩م.

تخرج في كلية ميرتون Merton في أكسفورد عام ١٩٠٥م. وأمضى عامًا في المعهد العالي للاهوت، لكنه قرر العمل ككاتب. وسافر في نفس العام إلى أمريكا حيث كتب عن موضوعات كندية بالصحف الإنجليزية، وسافر كثيرًا في تلك الفترة.

وعاش في مدينة تونتون ماساشوستس Taunton، Massachusetts والتي يُطلق عليها المدينة الفضية، مدينة عيد الميلاد، وكتب في بيتٍ هناك قصائد وقصصًا قصيرة من ١٩٠٦م إلى عام ١٩١٠م.

وكتب ثلاث روايات هن: حديقة بلا أسوار عام ١٩١٣م التي حققت نجاحًا آنذاك، وأتبعها برواية "الطوف" و "عبيد الحرية" .

المترجم



الاسم: الحسين محمود خضيري

الاسم الأدبي: الحسين خضيري

عضو اتحاد الكتّاب

مواليد الأقصر ١٩٦٧م.

ليسانس آداب قسم التاريخ والدراسات الإفريقية/ أسيوط ١٩٩٠م.

المهنة: باحث اجتماعي.

صدر له:

أغنية لغدٍ بعيد شعر/ الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٢م.

تراتيل المريد شعر/ الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة إبداعات ٢٠٠٦م.

فرسان الفن كتاب مترجم/ تأليف إيمي ستيدمان/ المركز القومي للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٨م.

الزهرة الأخيرة قصص من الأدب العالمي/ الهيئة العامة لقصور الثقافة - سلسلة آفاق الترجمة ٢٠٠٩م.

مدن الغيم شعر/ الهيئة العامة للكتاب - سلسلة اشراقات جديدة أكتوبر ٢٠٠٩م.

هذا الكتاب

في اللحظة الفارقة ما بين الحياة والموت ,يقف الإنسانُ على حدِ السكين ,قلبُه جمرةٌ تتقد ,تتنازع عقلَه نوازعُ شتّى.

يقف على خيط الحقيقة ,يرى نفسَه كما يجب أن يراها ,لا جدوى هناك لأن يُداهن نفسه ,لا ريب أن نظرتَه إلى العالم تتغير حينذاك ,من تلك البقعة التي يُطل منها ,تصغرُ الأشياءُ في عينيه ,وتُفلتُ الأمنيات في لحظةٍ يُنتزَع فيها الإنسانُ من نفسه ,شهواتِها ,سطوتِها ,غرورِها ,ولا يبقى هناك سوى الحقيقة.

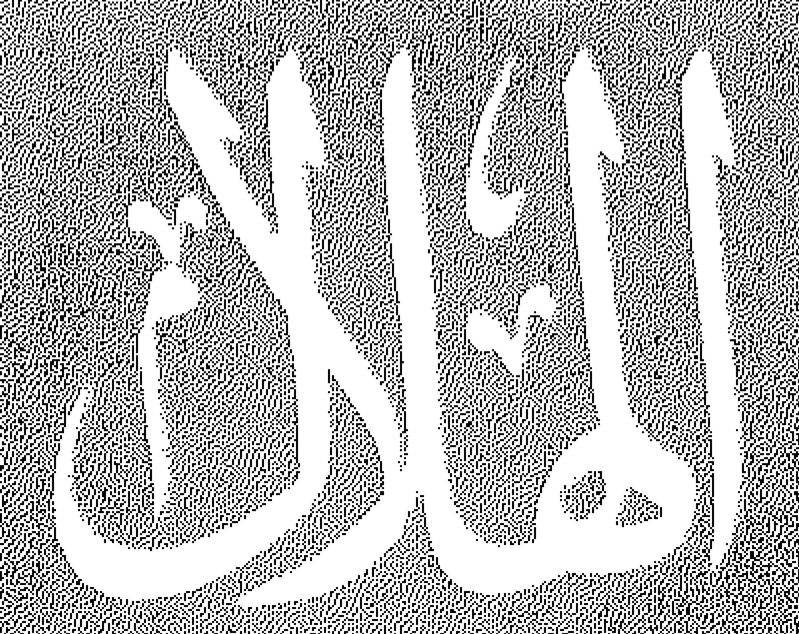
على حافةِ الموت ,على الشريط الضيق من الحياة ,يفتح القلبُ نوافذَه الموصدة ,حتى الكلمات آنذاك ,بلا جدوى تصير ,يقبضُ الإنسانُ على قَبَسٍ من صدقٍ لعل فيه النجاة.

هنا تتجلى معاني الإيمان بالإنسان والمحبة والرسوخ على هدف, في كاتب هذي الرسائل ,التي كتبها إلى ذويه ,أثناء الحرب العالمية الأولى ,من على جبهة القتال في كندا .أذكر أنه ذات مرة حين انقطعت رسائلُه إليهم وأرسلوا إليه معاتبين ,كتب قائلًا:

– كيف أخُطُّ إليكم رسائلَ حب ,ثم أستدير موجهًا ,إلى صدورِ الرجالِ رسائلَ صلب؟!

على هدفٍ سامٍ ,أوقف كونينجسبي حياته.تُرى أوقفتَ حياتَك على هدف؟

رقم الإيداع
٢٠١٤/٢٠٧٤٢
I. S. B. N
978-977- 07 - 1643 - 1

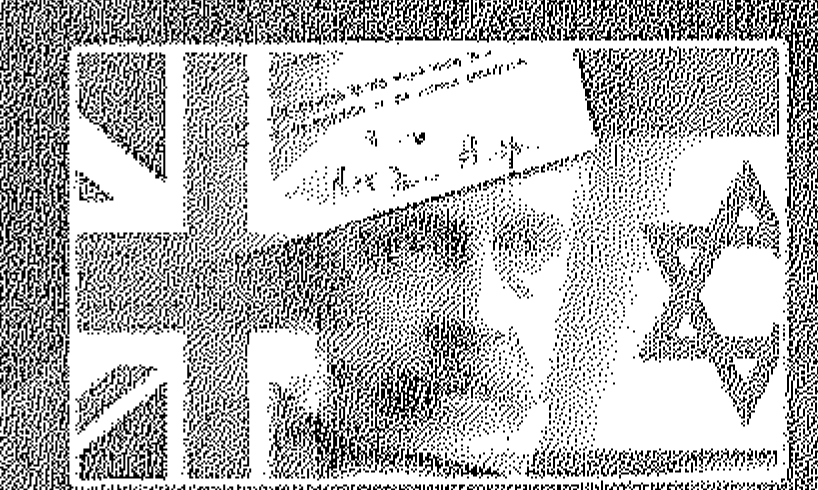


الهلال



دروس من تاريخ المحروسة

عبد الناصر.. هل أغرق النوبة خوفا من أهلها؟



فلسطين من بلفور حتى ١٩٥٢



موديانو.. فن الذاكرة نوبل ٢٠١٤

نصوص من الإبداع العراقي خارج أرضه

العربة والحصان في إدارة الثقافة المصرية

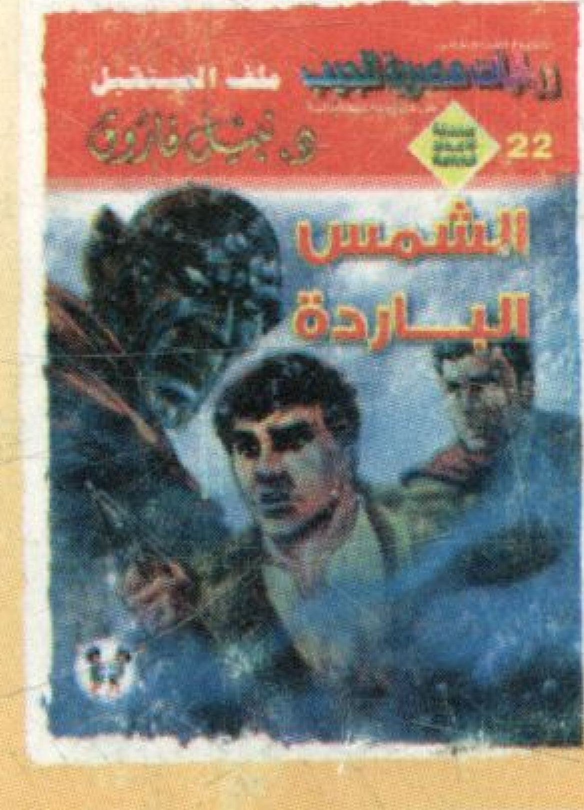
الهولوكوست.. العيب في التراث الصهيوني

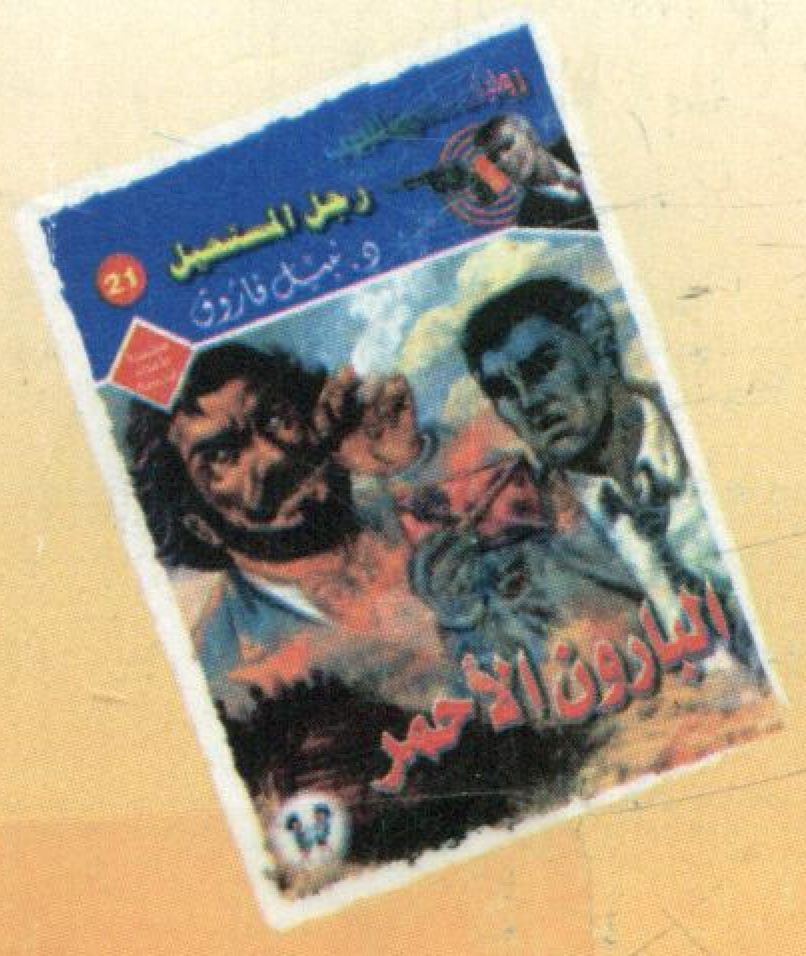
روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع

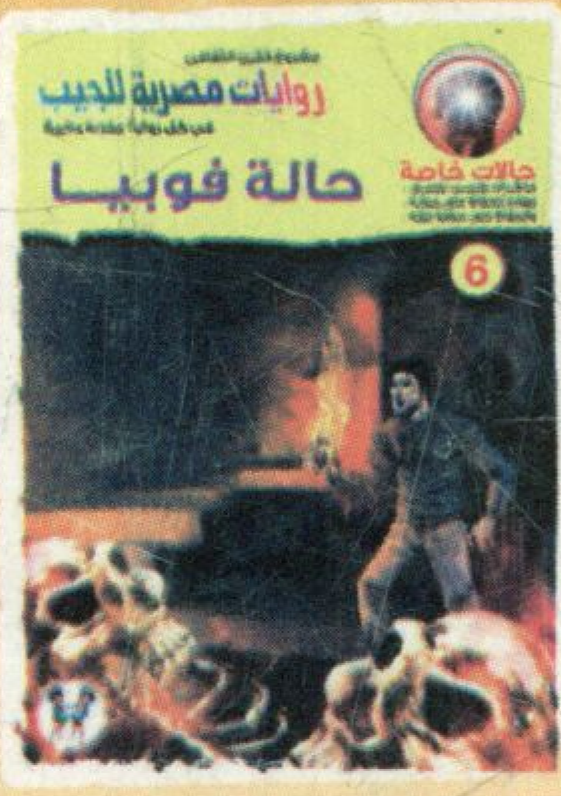
إثارة ، متعة ، ثقافة ، تسلية ، ذكاء ، ألعاب ، مغامرات













أكثر الروايات باللغة العربية
إثارة ، وأحفلها بالمتعة والثقافة

تذوق متعة القراءة مع
أحلى القصص ، وأجمل الروايات

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقي الفجالة ،
4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج.م.ع ، 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850